أزمة كثرة الطلاق

وسبل الحفاظ على الحياة الزوجية

كتبه

أبو حازم محمد حسني المصري

حقوق الطبع محفوظة

لا يجوز طبع الكتاب أو تصويره للأغراض التجارية

إلا بإذن خاص من المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله -ﷺ-:

«إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه».

متفق عليه[1].

قال المحدِّث الإمام عبد الرحمن بن مهدي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «من أراد أن يصنف كتابًا؛ فليبدأ بحديث: «**الأعمال بالنيات**»[2].

وقال الحافظ ابن رجب -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وبه صدَّر البخاري كتابه «الصحيح»، وأقامه مقام الخطبة له؛ إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله؛ فهو باطل، لا ثمرة له في الدنيا، ولا في الآخرة» اهـ[3].

---

(١) رواه البخاري (١، ومواضع)، ومسلم (١٩٠٧) - واللفظ له -، كلاهما من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البيهقي في «الصغرى» (٣)، وغيره.

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص٩).

مُقَدِّمَة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فهذه مجموعة من الخطب، كنت ألقيتُها في موضوع مهم، وهو: أزمة كثرة الطلاق، تلك المشكلة الخطيرة، التي ابتُلِيَتْ بها بيوت المسلمين وأُسَرُهُم، وأصبحت معول هدم للمجتمع المسلم، بما تؤدي إليه من تفريق بين الأزواج، وتشتيت وتضييع للأولاد.

وقد قامت أختنا أم عبد الرحمن المصرية -جزاها الله خيرا- بتفريغ تلك الخطب، ثم قمتُ باختصارها وتعديلها؛ لتكون مناسبة للنشر في هذا الكتاب.

نسأل الله التوفيق، والقبول.

تمهيد

خطورة الطلاق

وسبيل المواجهة

أخي المسلم! أختي المسلمة!

لقد شرع الله ﷻ النكاح لمقاصد عظيمة، وجعله سببًا شرعيًّا لاستمرار الحياة، وقضاء الوَطَر الذي فَطَرَ الله العباد عليه.

والنكاح سنة الأنبياء؛ دَرَجوا عليها، وحَثُّوا عليها، ورَغَّبوا فيها، حتى قال من قال من أهل العلم: إنه واجب على كل قادر؛ حتى تتحقق هذه السنة، وحتى تتحقق المصلحة العظيمة: من عمارة الأرض، وتكثير سواد الأمة، وكَفِّ الفاحشة عن الناس.

فالنكاح أمر شرعي عظيم مطلوب، ومقاصد الشريعة تقتضي أن يستمر ويبقى؛ فالشارع دائمًا مُتَشَوِّفٌ إلى الإبقاء على النكاح، والحفاظ عليه -ما أمكن-، وشَرَعَ الأحكام التي تؤدي إلى ذلك، وبَيَّنَ كيف يقوم الأزواج بذلك.

فالطلاق -إذن- على خلاف الأصل، الطلاق غير مطلوب شرعًا، ما شُرِعَ إلا بمقدار ولمقدار، ما شُرِعَ إلا دفعًا لمفسدة راجحة على بقاء النكاح؛ **فهو -إذن- علاج يُدفع به الضرر، فلا يجوز أن يتحوَّل هو نفسه إلى ضرر**، وإذا تحوَّل إلى ضرر؛ فهذا ينافي الحكمة من مشروعيته.

وقد علمنا جميعًا ما آل إليه حال الأزواج، وحال البيوت: من التدمير، والتخريب، والشقاق، وكثرة الطلاق.

إنها مسألة، وإن ناقشناها في مصر، إلا أنها لا تختص بمصر وحدها؛ إنها

مشكلة جيل من الرجال والنساء، صغارًا وكبارًا، لم يفقهوا دينهم، ولم يتعلموه تعلُّمًا صحيحًا.

إنها مشكلة جيل فقد أخلاقه وتربيته!

مشكلة جيل اضطربت نفسيَّته، فما عاد يستطيع أن يحافظ على هدوئه وأعصابه وحكمته!

مشكلة جيل استقلَّ واعْتَدَّ بنفسه، فلا يقبل نصيحة من كبير، ولا إرشادًا من عاقل مُجَرِّب!

ومن أراد أن يواجه هذه المشكلة على الوجه الصحيح؛ فعليه أن يعالج أصلها، ولا يتم هذا إلا بإدراك هذه الحقيقة: **أنها مشكلة وَعْي! مشكلة دين! مشكلة خُلُق!** فلا بد أن تُحَلَّ أسباب ذلك حلًّا صحيحًا ناجعًا، ولا ينبغي أبدًا أن تقتصر المعالجة على القوانين والتشريعات وحدها.

*** حكم الطلاق:**

اعلموا -إخوةَ الإسلام- أن **الطلاق دون سبب شرعي حرام، لا يجوز في الإسلام**؛ للأدلة التالية:

١- أن الطلاق دون سبب ظلم واضح، وضرر مكشوف فاضح، وهو سبيل للعداوة والبغضاء بين المسلمين، فدخل بذلك تحت العمومات الشرعية في تحريم الظلم، والضرر، والعداوة والبغضاء.

٢- قال الله ﷻ: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]، فإن أطاعتك زوجتك، واستقامت لك؛ فليس لك سبيل لها، ولا شك أن الطلاق من أعظم السبل التي تؤذي المرأة وتضرها.

٣- قال الله ﷻ في بيان كيد الشياطين وأوليائهم من السحرة: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فالتفريق بين الزوجين من أعظم مقاصد الشياطين والسحرة.

وقد صرح النبي ﷺ بهذا الأمر تصريحًا، فقال: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا! ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ! فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ!**»[(١)]، فتأمَّل أيها المسلم كيف يفرح بالشيطان بالتفريق بين الزوجين!

٤- قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ؛ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ**»[(٢)]، يا له من وعيد! يا له من حرمان ينتظر المرأة التي تتسبب في هدم بيتها دون سبب!

وهنا النقطة المهمة: **المسؤولية في هذا الموضوع الخطير مشتركة بين الرجال والنساء**، فمن أراد أن يتكلم على مشكلة الطلاق؛ فلا بد أن يعلم أن الحياة الزوجية قائمة على شخصين، لا على شخص واحد.

أنصار المرأة وأصحاب الجمعيات والأفكار النِّسَوِيَّة يحسبون أن الحياة الزوجية قائمة على الرجل فقط، وأنه هو وحده سبب الخلافات الزوجية؛ وهذا خلاف الشرع والعقل والفطرة؛ فالمرأة أيضًا قد تكون متسبِّبةً وساعِيَةً في تدمير نفسها وبيتها وأولادها، كما يخطئ الرجال تخطئ النساء أيضا.

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٣)، عن جابر رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، عن ثوبان رضي الله عنه.

وقد ذكر النبي ﷺ خَصْلَةً سيئة في النساء، هي من أعظم الأسباب المؤدية للفراق وهدم البيوت؛ قال ﷺ: «**أُرِيتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ؛ يَكْفُرْنَ**». **قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا؛ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»**[1]، فالمرأة عندما تنكر إحسان زوجها، وتنسى عِشْرَته؛ فهذا أمر يُدخلها النار -عياذا بالله-، وهو سبب يؤدي إلى الفراق وهدم الأسرة.

فالقضية -إذن- مشتركة، وليس الرجل وحده هو المتهم والمجرم دائمًا، المرأة أيضًا قد تكون مجرمة ظالمة، فإذا أردنا أن نعالج المشكلة؛ فلا بد أن نعالجها عند الطرفين جميعا، لا عند طرف واحد فقط.

*** سبيل العلاج:**

إخوة الإسلام! المشكلة -أيُّ مشكلة- لا بد أن تعالج من جذورها، ولا بد أن نفطن للسبب الحقيقي الذي يؤدي إليها.

إذا أصابنا مرض -نسأل الله السلامة والعافية-، وأردنا أن نعالجه؛ فلا بد أن نشخِّصه تشخيصًا صحيحًا، وإذا جاء الطبيب، ولم يحسن التشخيص؛ فإنه لن يعالج المرض، مهما كتب من الأدوية والعلاج.

والتوفيق عَصَبُ حياة الإنسان، مهما بلغ من المهارة والذكاء والفهم والقوة، فإذا نزع الله منه التوفيق؛ لم يستطع أن يفعل شيئًا.

فمشكلة الطلاق لا بد أن ننظر إلى سببها الصحيح، **وسببها الصحيح: أزمة وعي، أزمة دين، أزمة خلق**؛ فمهما فعلنا من تشريعات وقوانين، دون أن نقوم

---

(١) رواه البخاري (٢٩)، ومسلم (٩٠٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

بجهد حقيقي لتوعية الناس وإصلاح دينهم وتحسين أخلاقهم؛ فلن نصل إلى شيء.

ولَسْنَا نعني رفض التشريع والقانون نفسه -إن كان موافقًا لشرع الله-؛ **فإن الله يَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن**، القوة مطلوبة، والحزم مطلوب؛ ولكن هذا وحده لا يكفي، يجب أن يكون هناك جهد في التوعية والنصيحة، كل واحد في تخصُّصه ومجاله: الخطيب في المسجد عليه مسؤولية، والمتخصص في علم الاجتماع عليه مسؤولية، والمتخصص في علم النفس عليه مسؤولية، والأسرة في البيت عليها مسؤولية؛ هكذا بجهود متضافرة متكاملة.

والقوانين عندما تُسَنُّ، وتحصل المشاكل؛ فعامة من يعانون من المشاكل لا يتحملون نفقات المحاكم والقضايا! والقانون أيضا يمكن أن يُتَحَايَل عليه بالطرق المعروفة!

فالعلاج الحقيقي -إذن- هو علاج القلوب والأخلاق، علاج النفسية والتفكير.

على كل واحد منا دورٌ لا بد أن يقوم به، **ومن أراد أن يشرع قانونا -أي قانون كان-؛ فعليه أن يلتزم بشرع الله ﷻ، وخصوصًا في هذه المسائل، التي هي -في الأصل- مرجعيَّتها إلى الشريعة الإسلامية، وأما تنحية الشريعة، والتفكير بمنطق النِّسَوِيَّة وما إليها؛ فهذا إجرام وعبث، لا يصح ولا يليق.**

وفيما يأتي -إن شاء الله تعالى- من فصول هذا الكتاب: سنتعرض لهذه المشكلة، وما تيسَّر بيانه من أسبابها ودوافعها، وكيفية التعامل معها دينًا وخلقًا، ونسأل الله السداد والتوفيق.

البداية

حسن اختيار الزوجين[١]

أخي المسلم! أختي المسلمة!

حتى نتعرض لمشكلة الطلاق من أصلها؛ لا بد أن نتكلم في الزواج نفسه من البداية، **وبداية الزواج: حسن الاختيار والانتقاء.**

كلما وُفِّق الإنسان في اختياره لشريك حياته؛ كلما سَهُلَتْ عليه معيشته، وكانت معيشة هَنِيَّة طيبة -بفضل الله-، وكانت أبعد ما تكون عن الشقاق، فضلًا عن الطلاق.

والكلام الذي سنذكره يناسب -في المقام الأول- إخواننا الشباب، الذين هم بصَدَدِ بدء حياتهم، والدخول في الزوجية والارتباط، وهو يفيد -أيضًا- من تزوَّج وكوَّن حياته، من جهة أنه يعلِّمه لأولاده، ويراعيه عندما يخطب لابنه أو لابنته.

اعلم -رحمك الله- أن الاختيار في الإسلام شأن عظيم، اعتنى به النبي ﷺ، وبيَّن أهميته، وذكر الصفات التي يراعيها الرجل والمرأة في الخِطْبة؛ لأن هذا الأمر هو الأساس الذي تنبني عليه الحياة الزوجية بعد ذلك.

والخطوط العريضة التي جاءت في السنة للاختيار:

١- قول رسول الله ﷺ: «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ -تَرِبَتْ يَدَاكَ-**»[٢].

---

(١) للعبد الفقير رسالة صغيرة بعنوان: «كيفية اختيار الزوجين»، وهي مطبوعة، وما سأذكره هنا مختصر منها.

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فبيَّن الصفات التي يراعيها الرجال عادةً في اختيارهم، وأكَّد على الصفة العظمى، التي هي الأساس والفاتحة: **صفة الدين**. وقوله: (**تَرِبَتْ يَدَاكَ**) معناها في الأصل: الدعاء على الشخص أن تلتصق يداه بالتراب، كنايةً عن الفقر؛ لكن العرب صارت تستعمل هذه العبارة للتشجيع على الشيء، والتأكيد على الاهتمام به وعدم تضييعه.

٢- قوله ﷺ: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**»(١).

والودود: هي صاحبة العشرة الحسنة، والمعاملة الطيبة. **والولود**: هي القادرة على الإنجاب، ويُعرف ذلك بالنظر إلى نسائها، إذا سأل الرجل عن المرأة؛ عرف -في الجملة- أن أسرتها وعائلتها لديهم أولاد.

٣- قوله ﷺ: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوه تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»(٢)، فركَّز أيضًا بشأن الرجل على الدين والخلق.

٤- قوله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»(٣).

الباءة: هي القدرة على النكاح، بالبدن والمال؛ فالشاب يراعي في نفسه أن يكون قادرًا على النكاح ببدنه، ليس فيه عيب ولا مرض يمنعه من إعفاف زوجته، أو ما أشبه ذلك مما يُعْدِي أو يُنَفِّر. ويراعي في نفسه أيضًا أن يكون قادرًا على الإنفاق؛ لأن الزواج مسؤولية وأمانة، وحق الزوجة على زوجها أن ينفق عليها ويكفيها، وكذلك حق أولاده عليه.

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠)، عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

إذن: الأُسُسُ العامة للاختيار هي:

١- الدين. ٢- والخلق. ٣- والقدرة على النكاح.

*** وهنا النقطة المهمة: هل الدين وحده هو كل شيء؟**

الجواب: لا؛ بل هناك أمور أخرى لا بد من النظر فيها ورعايتها، والسنة أيضًا أتت بذلك:

١- كما في حديث الباءة الذي سبق، فراعت السنة القدرة على النكاح.

٢- وكما أن النبي ﷺ زوَّج فاطمة لعليٍّ رضي الله عنهما، مع أنه خطبها من هو خير من عليٍّ: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكنه ﷺ لم يزوجها أحدًا منهما، مراعاةً للسن، وقال: «**إِنَّهَا صَغِيرَةٌ**»[(١)]، فزوجها من يقاربها سنًّا.

٣- ولمَّا جاءته فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وقالت: إن معاوية وأبا الجهم خطباها، فقال ﷺ: «**أمّا مُعاويةُ فَصُعْلوكٌ لا مالَ لَهُ، وأمّا أبو جهْمٍ فَلا يَضَعُ عصاهُ عن عَاتِقِهِ**»[(٢)]. فراعى الكفاءة في المال، والكفاءة في الخلق أيضًا.

وهذا الأمر اتفق عليه أهل العلم، وبحثوه تحت عنوان «**الكفاءة في النكاح**»، فالكفاءة في الطبع، والخلق، والمال، وما يشبه ذلك: معتبرة -ولو في الجملة-.

وخلاصة الموضوع: التديُّن والخلق كالمفتاح للبيت، إذا لم يوجد المفتاح؛ لم ندخل البيت أصلا، وإذا وُجد؛ دخلنا -ابتداء-، ثم نظرنا في غرف البيت ودهانه وغير ذلك، وقد يعجبنا البيت، وقد لا يعجبنا، وليس معنى وجود المفتاح أننا لا ننظر إلى أي أمور أخرى.

---

(١) رواه النسائي (٣٢٢١)، عن بُرَيْدة بن الحُصَيْب رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٤٨٠)، عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

فعند الخطوبة: إذا علمنا عن الرجل أو المرأة -ابتداء- فقدان التديُّن والخلق؛ فلا خطوبة أصلا، ولا ننظر إلى مال، ولا جمال، ولا حسب، ولا غير ذلك. وإذا علمنا وجود الدين والخلق؛ تقدَّمْنَا، ثم ننظر بعد ذلك في الطباع والعادات وغير ذلك، فإن وجدنا توافُقًا وراحةً؛ اسْتَعَنَّا بالله وأمضينا الخطوبة، وإلا؛ انصرفنا بهدوء وأدب، وإن وُجد الدين والخلق.

*** والسؤال الآن: كيف نعرف الطباع والعادات ونحو ذلك؟**

لا نعني بالطبع أن تتحول مرحلة الخطوبة إلى مرحلة «دراسة»! و«مذاكرة»! بما يؤدي إلى خلوة الخاطب بالمخطوبة، أو خروجهما للتنزُّه، أو كلامهما بمزاح وضحك -وكثيرا ما يكون بما هو أكبر من ذلك!-، ونحو هذه الأمور التي نتساهل فيها -للأسف-، وهي مخالفة لأحكام ديننا الحنيف، التي توجب الحجاب على المرأة المسلمة، وتوجب غضَّ البصر على الرجل والمرأة، وتحرِّم الخلوة والاختلاط وغير ذلك من المنكرات.

ثم إن الذين يقومون بهذه الأمور، ويُمْعِنُون في «دراسة» (!) بعضهم بعضًا؛ أكثرهم ينفصلون بعد الزواج! لأنهم في مرحلة «الدراسة» (!) هذه يحرص كل واحد على إظهار أحسن ما عنده، وإخفاء عيوبه -بقدر الإمكان-، ثم بعد ذلك عندما يتم الزواج، ويعيش الطرفان في حياة واحدة؛ يظهر كل شيء على حقيقته.

وإنما المراد أن يكون هناك مصارحة من بداية الأمر، بالحدود والضوابط الشرعية: يتكلم الخاطبان في حضور ولي المخطوبة، ويكون الكلام منضبطًا بالحدود الشرعية، ويكون بصراحة ومكاشفة وصدق وأمانة، فلا يحرص أحد على تجميل نفسه، ولا على إخفاء عيبه.

يقول الرجل: طبعي كذا، وأريد امرأة طبعها كذا. وتقول المرأة مثل ذلك. ويحدِّد كلٌّ منهما: ما الأمور التي يحبها؟ وما الأمور التي لا يطيقها ولا يستطيع أن يتعايش معها؟

بهذا يحصل التوافق -بقدر الإمكان-، ونتجنب مواطن الخلاف بعد الزواج -بقدر الإمكان-، ونوفِّر على أنفسنا الكثير من المشاكل والفتن في المستقبل.

إذن: أخي المسلم! أختي المسلمة! الاختيار من البداية هو الأساس، كلما أحسنتَ الاختيار؛ كلما كانت الأمور على خير.

وإياكَ -يا أخي- والتسرع، وإياكِ -يا أختي- والتسرع، مهما رأيتما، ومهما سمعتما، إياكما أن تنخدعا بالمظاهر، حتى المظاهر الدينية، عليكما بالبحث والسؤال والاستخارة والاستشارة.

هذه هي البداية الصحيحة لإقامة الحياة الزوجية السعيدة، على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه، وعلى الوجه الذي تتحقق به المصلحة والسعادة في البيت المسلم، وفي الأمة المسلمة كلها.

قواعد أساسية
للحفاظ على الحياة الزوجية

هذه قواعد مهمة، بمثابة مفاتيح وضوابط، ينبغي للأزواج أن ينتبهوا لها جيدا، ويتذكَّروها دائما في حياتهم؛ فإن فيها عَوْنًا عظيما على الحفاظ على الأسرة.

* **القاعدة الأولى: الزواج ميثاق غليظ.**

الزواج ميثاق غليظ، هكذا وصفه رب العزة -تبارك وتعالى- في كتابه، فقال: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[النساء: ٢١]، وعظَّم النبي ﷺ شأنه، فقال في خطبة الوداع، في ذلك المجمع العظيم: «**اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ**»(١).

إنه عقد ليس كأي عقد، إنه عقد ذُكر فيه اسم الله ﷻ، واستُحِلَّتْ به أعراض ومحرَّمات، وينبني عليه بيت مسلم، هو أساس الأمة كلها.

وينبني على هذا المعنى العظيم: **أن الرجوع عن العقد ليس كالدخول فيه**، فعقد النكاح عقد لازم مُلْزم، وإذا كان عقد البيع لازما، ولا يجوز الرجوع فيه إلا لسبب شرعي؛ فالنكاح أولى؛ لأنه أخطر وأعظم شأنا.

بعد الزواج يصير هناك بيت، وأسرة، ومسؤولية، والأدهى: الأولاد؛ فكل هذا يجعل الأمر شديدا أكيدا، ويجعلنا نفكِّر ألف مرة قبل الانفصال، وبشأن الأولاد: لا ذنب لهم في تسرُّع وَالِدِيهم في الارتباط، أو ما حدث بينهم من

(١) رواه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر رضي الله عنه.

مشاكل بعد الزواج، لا ذنب لهم حتى يضيعوا ويتشتتوا، ولا يجوز أن ينظر الوالدان في مصلحتهما وسعادتهما على حساب الأولاد، لا بد أن تختلف الحسابات، ولا بد من الصبر والتحمُّل.

*** القاعدة الثانية: المسؤولية مشتركة بين الزوجين.**

هذه القاعدة نحتاج إليها حتى نضبط ميزان الأسرة؛ فإن الميزان -أي ميزان- له كِفَّتان، وهكذا ميزان الأسرة له كفتان، يقوم عليهما معًا، لا على إحداهما فقط.

فعندما نتكلم على أزمة الطلاق؛ لا بد أن نوزِّع المسؤولية على الطرفين جميعًا -الزوج والزوجة-، ولا يصح أن نميل لطرف على حساب آخر.

وهذا نؤكِّد عليه ردًّا على أنصار المرأة -بزعمهم!-، الذين يتكلمون دائمًا وأبدًا على أن المظلوم في المعادلة الزوجية هو المرأة وحدها، في كل موقف، وفي كل مشكلة!

هذا التناول خطأ كبير؛ الحياة الزوجية طرفان لا طرف واحد، وشريكان لا شريك واحد، فالمسؤولية مشتركة، والحِمل مشترك، وكما أن المرأة قد تكون مظلومة؛ فإنها أيضا قد تكون ظالمة، فكلُّ موقف بحَسَبِه، ولا يجوز التحامُل على الرجل دائما في كل مشكلة، ولا يجوز أن يكون الهدف دائما هو استنزافه والقضاء عليه! هذا ظلم، يتنافى مع العقل والفطرة.

*** القاعدة الثالثة: التفاوت الطبيعي بين الرجل والمرأة.**

الرجل والمرأة هما نِصْفَا المجتمع والجنس البشري كله، وهما متكاملان لا يستغني أحدهما عن الآخر؛ لكن ربنا ﷻ جعل بينهما تفاوتًا، ففضَّل جنس

الرجال على جنس النساء، قال ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ٣٤]، وحكى قول المرأة الصالحة - زوجة عمران-: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ﴾ [آل عمران: ٣٦]، حكاه مُقِرًّا له.

وهذا التفاوت بُنِيَتْ عليه أحكام شرعية، فليس أمرًا فِطْرِيًّا خَلْقِيًّا فقط، ويكفينا التذكير بحكم واحد، وهو: الشهادة، فشهادة الرجل الواحد بشهادة امرأتَيْن، قال الله ﷻ: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والنبي ﷺ عبَّر عن هذه الحقيقة بعبارة مهمة: «**نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ**»، وفسَّر ذلك فقال: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا. أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**»[(١)].

ونحن نرى تصديق هذا في واقعنا وحياتنا وفطرتنا: أن المرأة قاصرة عن الرجل في شتى المجالات، ومن كابر هذا؛ فقد كابر فطرته وحياته التي يعيش فيها.

وهنا أوجِّه الحديث إلى أختي المسلمة:

المسلم الحقُّ هو الذي يقبل كلام الله ورسوله، ويُسلِّم ويرضى، وإذا ضاق فهمه عن شيء منه؛ فإنه يفوض الأمر إلى ربه، وربنا ﷻ خلق المرأة هكذا، فهل تعترض المسلمة الصادقة على ربها وتقول: لماذا يا ربِّ خلقتني هكذا؟! لماذا لم تُسَوِّ بيني وبين الرجل؟!

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وهذه الخِلْقة -يا أختاه- لا تعني أبدا إهانة المرأة ولا احتقارها، وسنؤكد على هذا مرارا وتكرارا؛ **بل ضعفها وقصورها هذا هو مصدر قوتها -في الحقيقة-**، كما نصَّ عليه رسول الله ﷺ في حديثه السابق: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»، فهذه المرأة الضعيفة تؤثر على الرجل، وليس أيَّ رجل! بل الرجل الحازم الرصين!! تؤثر عليه حتى تُذْهِبَ لُبَّه، أي: تُطِيرُ عقله!

وأيضا: **ضعف المرأة هذا هو المناسب للدور الذي خُلِقَتْ له في هذه الحياة**؛ فإنها خُلِقَتْ -أصالةً- لتربية الأولاد، وإعداد الأجيال التي تنهض بالأمة، فلا بد أن يكون عندها من اللطف، والرحمة، والرأفة، واللين: ما ليس عند الرجل.

والمهم الآن: أن ننتبه لهذا التفاوت الطبيعي بين الرجل والمرأة، وينتبه له الزوجان -على حَدٍّ سواء-:

١- فالزوجة لا تُسوِّي نفسها بزوجها، ولا تعامله رأسًا برأس؛ بل تعلم أن ربها ﷻ رفعه عليها درجة، وأعطاه حق السيادة في الأسرة.

٢- والزوج يتعامل مع زوجته بالرأفة والرحمة والرفق، لا يتعامل معها على أنها رجل مثله، فيشتد ويَقْسُو عليها، ويعاملها بغلظة وجفاء.

وعليك -أخي الزوج- أن تنتبه لهذه الحقيقة أيضا: **المرأة مخلوق كريم نبيل، لو أحسنتَ التعامل معها؛ ستُخرج منها أحسن ما عندها.**

إن كثيرا من المشاكل الزوجية سببها عدم التعامل الصحيح مع المرأة، ولو تعاملنا مع المرأة تعاملًا صحيحًا؛ لأخرجنا أفضل ما عندها: من الطِّيبة، والوُدِّ، والرحمة، والعطف، والحنان، والقناعة، والإعانة؛ هذه كلها كنوز مُودَعَة في المرأة؛ لكنها تحتاج إلى من يكتشفها ويستخرجها.

وأما إذا تعاملتَ -أيها الزوج- مع زوجتك معاملة استعلاء واحتقار؛ فسوف تُخرج منها أَسْوَأَ ما عندها، وستصير زوجتك عذابًا عليك، وجحيمًا في حياتك.

*** القاعدة الرابعة: لا يحصل كل أحد على كل ما يريد.**

لا ينبغي -يا إخواني وأخواتي- أن ننسى أننا بشر، خُلِقْنا في هذه الدنيا لكي نُبتلَى ونُمتحن؛ فكيف نتوقع -مع البلاء والمحنة- أن نحصل على كل ما نريد؟! لا بد من حرمان، ولا بد من نقص، هذه سنة الله في كونه، لا تتبدل ولا تتغير.

فعندما ينكشف كلٌّ من الرجل والمرأة على صاحبه بعد الزواج، وعندما تحصل المعاملة والعشرة؛ لا بد أن تظهر أمور كانت خافية، وعيوب لم تكن معروفة، ولا بد أن تقع الأخطاء، ويحدث التقصير، ونحن بشر ناقصون، لسنا كاملين ولا معصومين، فلا ينبغي أبدا أن نتوقع أن حياتنا الزوجية ستمضي على الاستقامة التامة، والطاعة المطلقة، والسعادة الدائمة؛ بل لا بد من وجود خلل، لا بد من ارتفاع وانخفاض، واستقامة واعوجاج.

إذن: لا ينتظر أحد منا أنه سيحصل على كل ما يريد في حياته الزوجية، علينا أن نفهم طبيعة وجودنا في هذه الدنيا: من النقص، والابتلاء، والحرمان؛ والذي يغفل عن هذه الحقيقة، وينساها؛ سيعيش طوال حياته في معاناة وألم ومشاكل.

*** القاعدة الخامسة: تغليب الإيجابيات.**

كما أن كل إنسان فيه عيب؛ فكل إنسان -أيضا- فيه مزية، فلا تنظر -أيها الزوج- إلى العيب وحده، ولا تنظري -أيتها الزوجة- إلى العيب وحده.

ونبينا ﷺ تكلم عن هذه القضية بشأن المرأة تحديدا؛ لما ذكرنا سابقًا من ضعفها وقصورها، فقال ﷺ: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا؛ رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**»[1]؛ (**لا يَفْرَكْ**) أي: لا يُبْغِضْ، وهذه هي القاعدة أعطاها لك معلِّمك ﷺ: (**إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا؛ رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**).

لماذا نختزل الإنسان في العيب الذي فيه؟! أليست هناك مزايا ومحاسن؟!

إذا رأيتَ عيبًا في زوجتك؛ فانظر إلى الكمال الذي فيها، وانظر إلى حسن العشرة معها، وإلى المعروف الذي قامت به. وإذا رأيتِ عيبًا في زوجكِ؛ فانظري إلى مزيته، وانظري إلى معروفه وإحسانه.

علينا أن نعمل بهذا الأدب الذي علَّمه لنا ربنا ﷻ: ﴿**وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٣٧].

*** القاعدة السادسة: الصبرَ الصبرَ!**

أخي المسلم! أختي المسلمة! إن حياتنا كلها تحتاج إلى صبر، في جميع مواقفها وأحوالها.

وَقُودُنا في هذه الحياة -على الحقيقة- هو الصبر، كما أننا نحتاج إلى الطعام، والشراب، والمال؛ فنحن نحتاج إلى وَقُودٍ أهمَّ، وهو الصبر.

حياتك -أيها الإنسان- لا تخرج عن ثلاثة مواقف:

١- إما طاعة تفعلها. ٢- وإما معصية تتركها. ٣- وإما بلاء تتعرض له.

وكل هذا يحتاج إلى صبر: فالطاعة تحتاج إلى صبر حتى تتحمَّل المشقة في فعلها، والمعصية تحتاج إلى صبر حتى تتحمَّل المشقة في تركها، والبلاء يحتاج إلى صبر حتى تتحمَّل المشقة في أَلَمِه، ولا تتسخط على قدر ربك.

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا وقود حياتنا عموما، وإن كنا غير متزوجين، وهذا الوقود يتأكد بعد الزواج؛ لأجل ما ذكرناه: لا بد من وجود العيوب، ولا بد من حدوث المشاكل وسوء التفاهم، ولا يحصل كل أحد على كل ما يريد، فإذا لم نصبر؛ تهدَّمت البيوت، وضاعت الأولاد، وتفكَّكت الأمة.

وللأسف الشديد: كثير من الرجال (الأزواج) عكسوا الحكمة التي من أجلها جعل الله الطلاق بيد الرجل! فإن الطلاق إنما جُعل بيد الرجل دون المرأة؛ لأن الرجل أكثر حكمة وتعقُّلًا، وأقوى صبرا وتحمُّلًا؛ وإذا بالكثير من الأزواج يعكسون المسألة، ويصيرون أدنى من النساء في الصبر والتعقُّل! أسهل شيء عندهم هو الطلاق! لأدنى استفزاز، وأدنى مشكلة!

إذن: وقودنا الصبر، ووقود الصبر: الدين، والعقل.

١- **الدين**: بما فيه من ترغيب في الصبر، وتهذيب للنفس بما يعينها على الصبر.

٢- **والعقل**: بالتحلِّي بالحكمة والهدوء، والبُعْد عن التسرُّع والانفعال.

ومن كان فاقدًا للصبر؛ فليتصبَّر، بالدين والعقل.

هذه هي القواعد التي أردنا بيانها، كمفاتيح مهمة للحفاظ على الحياة الزوجية، فينبغي الانتباه لها، واستحضارها دوما عند وقوع المشاكل بين الزوجين، وبالله الحفظ والتوفيق.

حقوق الزوجين

* تمهيد:

ذكرنا أن **الصبر هو وقود الحفاظ على الأسرة، وأن التدين هو وقود الصبر،** وهنا نتكلم بشيء من التفصيل على أثر الدين في الحفاظ على الأسرة، كتمهيد لقضية الحقوق الزوجية.

اعلم -رحمك الله- أن التديُّن أساس البقاء في الحياة الزوجية؛ وذلك لأن المتدين يخشى الله ويتَّقِيه، والذي يخشى الله ويتَّقِيه: يحافظ على بيته وزوجه وولده.

إذا قويت الصلة بالله ﷻ؛ قَوِيَ القلب، وسطع فيه نور الإيمان، وامتلأ بخشية الله ومراقبته، وهذا سينعكس منه على حياته كلها، وعلى رأسها: بيته وأسرته.

والواقع شاهد لا يُنكَر: عامة البيوت التي تُخَرَّب، وعامة الأُسَر التي تُهْدَم: لا بد أن يكون فيها خلل في التدين والاستقامة؛ الصلة بالله ضعيفة، والواجبات تُترك، والمحرمات تُرتَكَب! كلما زاد هذا في الأسرة؛ فإنما هي نار تأكلها وتقضي عليها!

المتدين، الذي يخشى الله، ويراقبه، ويستحضر كلامه، ويقف عنده، ويعمل به: هو الذي إذا جاءته المشكلة؛ وَقَفَ، وتأمَّل، واستحضر كلام ربه ﷻ وكلام نبيه ﷺ، فوجد في كلام ربه ونبيه الأمر بالصبر، والعفو، والرفق، ومراعاة الخير والفضل؛ فعندئذ: يُبقِي على بيته وأسرته، ويصبر ويحتسب؛ لأن ربه أمره بذلك، ولأن نبيه أمره بذلك.

حَسْبُنَا أن نستحضر -مثلا- قول ربنا ﷻ: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، قد تبغض امرأتك، وتَنْفُر منها؛ فإذا كنت متدينًا، عارفًا بكلام ربك، وَقَّافًا عنده؛ فأَطْلِقْ في ذهنك وقلبك هذه الآية، وقِفْ عندها، واعمل بها.

وهذه وصية السلف: قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إذا زوَّجْتَ كريمتك؛ فزَوِّجْها ممن يخشى الله؛ فإنه إن أحبها؛ أكرمها، وإن أبغضها؛ لم يظلمها**».

هذه هي ثمرة التدين والاستقامة، حتى إذا وقعت النُّفْرة والوَحْشة بين الزوجين؛ فالتدين وقودٌ وقائدٌ، يدفع الإنسان إلى عدم الظلم، ويدفعه إلى الصبر والاحتساب.

ومن هنا ننتقل إلى موضوع (**الحقوق الزوجية**)؛ فإن الدين رتَّبَ حقوقا لكل واحد من الزوجين على صاحبه، والمتديِّن حقًّا هو الذي يحافظ على هذه الحقوق، ولا يضيِّعها، ولهذا كان من المناسب أن نقدِّم بهذا التمهيد في أهمية التدين في حياتنا، حتى يكون هذا عَوْنًا على فهم الحقوق الزوجية، والحفاظ عليها.

*** جامع الحقوق الزوجية:**

الحقوق الزوجية تجتمع في كلمتين: ١- **القَوامة**. ٢- **وحسن العِشْرة**.

فكلٌّ من الزوجين مطالَب بحسن العشرة مع صاحبه، مع أفضلية أعطاها الله ﷻ للزوج، وهي: القوامة.

وقد جُمع هذا في قول ربنا ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. (**ولهن مثل الذي عليهن**)، أي: للنساء من الحقوق مثل ما

عليهن من الواجبات، (**وللرجال عليهن درجة**) هذه هي المزية، التي عُبِّر عنها في الآية الأخرى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

وإليك تفصيل ذلك:

* **أولا: حق الزوج على زوجته:**

حقوق الزوج على زوجته تُجمع في هذه الكلمة الجامعة: (**القوامة**)، أي: السيادة والقيادة، ففي الحياة الزوجية: السيادة للرجل، والقيادة للرجل.

وقد بيَّن الله ﷻ السبب في ذلك في نفس الآية: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، فسبب قوامة الرجل شيئان:

١- **تفضيل الرجل على المرأة:** وهذا تفضيل جنس، أي: جنس الرجال أفضل من جنس النساء، كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، وهذه هي الفطرة التي فطر الله الخلق عليها، وقد سبق الحديث عن هذا، إذن: فالطرف المفضَّل في الأسرة هو الذي يحق له أن يقود ويسود في بيته.

٢- **النفقة:** فالرجل هو الذي ينفق على المرأة، واليد العُلْيا خير من اليد السُّفْلَى، والذي ينفق هو صاحب المِنَّة والمعروف، فالرجل -إذن- هو صاحب اليد العليا في البيت، ومن حقه -إذن- أن يسود ويقود في بيته.

وتحت مفهوم القوامة تدخل حقوق تفصيلية عديدة للزوج على زوجته:

١- **الطاعة:** فيجب على المرأة أن تطيع زوجها في المعروف، وهذا من مقتضى قوامته وسيادته.

سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟»، فَقَالَ: «الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا

أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ»[١]، فخيرُ النساء: من إذا نظر إليها زوجها سَرَّتْهُ بجمالها ونظافتها، وإذا أمرها أطاعته، وإذا علمتْ أنه يكره منها شيئا في نفسها أو مالها؛ لم تفعله، ولم تعاند زوجها، ولم تجعل رأسها برأسه.

وقد أكَّد النبي ﷺ على لون خاص من الطاعة؛ لشدة أهميته، وهو: **الطاعة في الفراش**؛ فإن الحياة الزوجية من أعظم مقاصدها: إعفاف النفس وقضاء الوَطَر، وحاجة الزوج إلى ذلك أظهر وأكبر، فاعتنى الشرع ببيان هذا، وخَصَّه بالذكر، فقال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا؛ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»[٢]، ما أشدَّه من موقف! تبقى المرأة طوال ليلتها ملعونة بلعنة الملائكة لها! والمرأة الصالحة التقية لا تعرض نفسها لمثل هذا الموقف.

٢- **الخدمة**: فيجب على المرأة أن تخدم زوجها، وتقوم بشئون بيتها وأولادها، في أمور الطعام والنظافة وغير ذلك، وهذا من مقتضى سيادة الزوج وقوامته.

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ، فسألها عن حالها مع زوجها، فقالت: «**مَا آلُوهُ، إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ**»، أي: لا أقصِّر في خدمته، إلا ما عجزتُ عنه، فقال لها الرسول ﷺ: «**فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ**»[٣]، أي: انظري أين أنتِ منه في القيام بحقه ورعايته؛ فإنما هو سبيلكِ إلى الجنة أو إلى النار.

(١) رواه النسائي (٣٢٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (٣١/ ٣٤١)، من حديث حُصَيْن بن مِحْصَن: أن عمَّةً له جاءت إلى النبي ﷺ... فذكر الحديث.

٣- **الاستئذان**: فالمرأة تستأذن زوجها في الأمور المهمة، وهذا من مقتضيات قوامته، ومن أهمِّ الأمور التي تستأذن فيها:

أ- الخروج من البيت: فلا تخرج المرأة من بيتها إلا بإذن زوجها، أيًّا كان المكان الذي تخرج إليه، وأيًّا كان الناس الذين ستخرج إليهم.

قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ؛ فَلَا يَمْنَعْهَا**»[(١)]، وهذا الحديث يدلُّ على أن إذن الزوج مهم ومؤثِّر؛ إذ لو كان يجوز للمرأة أن تخرج دون إذنه؛ لأذن لها النبي ﷺ مباشرة في الخروج إلى المسجد دون استئذان، وهذا في الخروج إلى بيت الله ﷻ، للصلاة أو غيرها من الأمور الدينية النافعة؛ فكيف بغير المسجد؟!

ب- إدخال أحد إلى البيت: فلا تُدخل المرأة أحدًا إلى بيت زوجها إلا بإذنه، وإن كان هذا الشخص أقرب الناس إليها.

قال رسول الله ﷺ: «**وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ**»[(٢)]، أي: لا تسمح المرأة بجلوس أحد على فُرُش البيت إلا بإذن زوجها، وهذا معناه أنه لا يدخل البيت أصلا إلا بإذنه.

٤- **الأمانة**: ومنها: أن تحفظ المرأة مال زوجها، فهو أمانة عندها، وهي مسؤولة عنه.

قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ: صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ؛ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ**»[(٣)]، هذا الحديث فيه بيان فضيلة

(١) رواه البخاري (٥٢٣٨)، ومسلم (٤٤٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر رضي الله عنه.
(٣) رواه البخاري (٥٠٨٢)، ومسلم (٢٥٢٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لنساء قريش، وهي: الحنان على الطفل، والحفاظ على مال الزوج، فما دام الزوج ينفق على زوجته ويكفيها؛ فحقُّه عليها أن تحفظ هذا المال، فلا تضيعه، ولا تنفق منه شيئًا إلا بتوجيه زوجها.

وأخيرا: فقد عبَّر الرسول ﷺ عن حق الزوج على زوجته بعبارة جامعة خطيرة: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ؛ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»(١)، ما أخطرها من كلمة! السجود مشترك بين التحية والعبادة، وسجود التحية قد نُسِخَ في شريعتنا، فصار لا يقع إلا عبادة، فلو كان في شريعتنا سجود التحية والتعظيم والتوقير؛ لما جاز إلا للمرأة إلى زوجها، ما أجازه النبي ﷺ حتى لنفسه!

فيا أيتها المرأة المسلمة الصادقة! يا من تحرصين على طاعة ربكِ! يا من تريدين الجنة ونعيمها! يا من تخافين النار وعذابها! هذا حق زوجكِ عليكِ، واضح في كتاب ربكِ وسنة نبيكِ ﷺ، فإن كنتِ صالحة تقية حقًّا؛ فحافظي عليه، وتمسَّكي به.

*** ثانيا: حق الزوجة على زوجها:**

جامع حق الزوجة على زوجها: ١- **حسن العشرة.** ٢- **والكفاية.**

١- **حسن العشرة:** يجب على الزوج أن يحسن معاملة زوجته، وهذا هو مقتضى الأصالة والمروءة ومكارم الأخلاق، وهو مقتضى السيادة الحقيقية؛ فالسيد حقًا هو الذي يحسن معاملة من تحت سيادته، السيد في الإسلام كريم نبيل حسن المعاملة، ليس السيد بالمتكبر ولا المتجبر ولا الظالم ولا الغَشُوم؛

---

(١) رواه الترمذي (١١٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الزوج سيد البيت؛ ولكن ليس له أن يتعامل مع زوجته بأسلوب الجبروت والإذلال والسيطرة المحضة.

قال ربنا ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال نبينا ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ**»(١)، (عوان)، أي: أسيرات، فالمرأة في بيت زوجها كالأسيرة، وكيف نعامل الأسرى؟! حتى الكفار منهم؛ ألم يأمرنا الإسلام بحسن معاملتهم؟! فكيف بالمرأة المسلمة الكريمة؟!

٢- **الكفاية**: يجب على الزوج أن يكفي زوجته، ويغنيها عن الحاجة والسؤال، وهذا في ثلاثة أشياء أساسية: النفقة، والكسوة، والسُّكْنَى.

قال الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦]، وهذه الآية الثانية وردت في المطلَّقات، أوجب الله لهن السُّكْنَى، فكيف بالزوجة التي لا تزال في عصمتك؟!

والذي يضيع نفقة امرأته، ويعرِّضها للحاجة؛ يبوء بإثم عظيم وظلم كبير؛ قال رسول الله ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ**»(٢)، إذا كنت تتعامل مع حيوان تملكه -مثلا-؛ فكفى بك إثمًا أن تحبس عن هذا الحيوان طعامه وشرابه؛ فكيف بالإنسانة المسلمة الكريمة؟!

هذه هي حقوق الزوجين، التي رتَّبَتْها الشريعة المطهرة، إذا فهمنا هذه الحقوق، وأحسنَّا التعامل بها؛ فإننا نحقق بذلك الأساس الذي تقوم عليه البيوت، ونحافظ به على الأسر من الضياع والشقاق.

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٣)، من حديث عمرو بن الأَحْوَص رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٩٩٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وأعظم ما يعين على الحفاظ على حقوق الزوجين: تقوى الله ﷻ، وتحقيق التديُّن الصحيح، القائم على مراقبة الله، وخشيته، ورجاء ثوابه، والخوف من عقابه؛ فكلما كمل نصيب المسلم من هذا الأمر العظيم؛ كلما ازداد حفاظه على الحقوق الزوجية.

نسأل الله أن يجعلنا جميعا من المتقين الصالحين.

نشوز الزوجة

بعدما تحدثنا عن حقوق الزوجين، وبيَّنَّا أن من حق الزوج على زوجته: طاعتَه واحترامَه؛ نتكلم فيما يخالف ذلك، وهو مشكلة من أعظم المشاكل التي تضرب الحياة الزوجية، ألا وهي: **نشوز الزوجة**.

ونشوز الزوجة معناه: ارتفاعها وامتناعها عن طاعة زوجها.

وقد تعرض ربنا الكريم ﷻ بنفسه لهذه المشكلة في كتابه، فبيَّنها وبيَّن علاجها، وذلك في نفس الآية التي قرَّر فيها قوامة الرجل على المرأة؛ قال ربنا -جل جلاله-: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٤].

أول العلاج: في هذه الجملة الرائعة البليغة التي تحتاج إلى وقفة مستقلة: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، تأمَّلْ! لم يقل ربنا: «والـلاتي نَشَـزْنَ»؛ **فالعلاج -إذن- يبدأ عند توقُّع النشوز، لا عند وقوعه**، وهذه جادة العقل والحكمة؛ فإن العاقل الحكيم لا ينتظر المشكلة حتى تقع فيعالجها، بل يبادر بعلاجها عند توقُّعها ورؤية أسبابها.

قال أهل العلم: يُعْرَف نشوز الزوجة بأمارات وعلامات، منها: التأخُّر في إجابة نداء زوجها دون عذر، ومنها: عُبُوسُها في وجهه، ومنها: مخاطبتها له بأسلوب غير لائق؛ هذه بدايات تعرِّف الزوج بنشوز زوجته، قبل أن يقع النشوز الفعلي بعدم الطاعة، والتنكيد والتنغيص الحقيقي للمعيشة.

وانتبه أيها الزوج! عندما نقول: توقُّع النشوز؛ فهذا يكون بأمارات واضحة مما ذكرناه، وأما إذا كان هناك شيء على سبيل المزاح أوالملاعبة، أو على سبيل التقصير الخفيف؛ فهذا يُتَغَاضَى عنه، ولا يُتَوَقَّفُ عنده، ولا يقال: هذه أمارة نشوز، نبادر ونعالج!

فإذا خاف الرجل نشوز زوجته، فضلا عن وقوع النشوز بالفعل؛ فماذا يفعل؟ ثلاث خطوات مرتَّبة، ذكرها ربنا ﷻ، وأمرنا بها:

* **الخطوة الأولى**: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾:

الوعظ، النصيحة، الترغيب والترهيب، يذكِّر الرجل امرأته بحقه عليها، يذكرها بكلام ربها ﷻ ونبيها ﷺ، مما سبق ذكره في بيان حق الزوج على زوجته، يفعل ذلك بالرفق والأسلوب المناسب.

* **الخطوة الثانية**: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾:

الهجر، للعقوبة والتأديب.

وقِفْ معي أيها الزوج! وتأمَّلْ وتدبَّرْ! ربنا ﷻ لم يقل: «واهجروهن» فقط، فلم يجعل الأمر بالهجر مطلقا تاما؛ بل قيَّد الهجر بالمَضْجَع، فهو هجر في الفراش فقط، يعطيها ظهره في الفراش.

واعلم أيها الزوج أن هذا يؤثر في المرأة جدًّا، عرف هذا من عرفه، وجهله من جهله، ونحن -عموما- نؤمن بكلام ربنا، وإن لم نعرف حكمته، ونعلم أن ربنا ﷻ يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير، وفي هذا الموضع: الحكمة ظاهرة -بحمد الله-؛ فإن المرأة بطبيعتها تحب الاهتمام، وتحب أن تشعر بقيمتها وأنوثتها وحَظْوَتها عند زوجها؛ فإذا لم يمنحها زوجها هذا الشعور؛ فإن هذا يؤثِّر

فيها جدًّا، ولا بد من تقديمه على العقاب الحسي؛ لأن المرأة رقيقة ضعيفة، فالردع النفسي المعنوي هو الأنسب لها غالبا، يحقق المقصود، ويوفِّر ضرر العقاب الحسي.

ونبينا ﷺ زاد الأمر بيانًا، فقال: «**وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ**»[(١)]، فلا يصل الأمر إلى الشقاق التام والعزلة المطلقة؛ لأن المقصود بالهجر هنا مجرد الإيلام والتأديب، لا القدر الكبير الذي يؤدي إلى زيادة النفور والوحشة بين الزوجين.

*** الخطوة الثالثة: ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾:**

إذا زاد النشوز، ولم ينفع وعظ ولا هجر؛ فهنا ننتقل إلى الردع الحِسِّي: الضرب.

وهنا الوقفة المهمة: في فقه الضرب.

لقد بيَّنت السنة صفة الضرب، وقيَّدَتْه بقيود، ومما جاء من الأحاديث في ذلك:

١- قال رسول الله ﷺ: «**وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ؛ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ**»[(٢)]؛ هكذا قال ﷺ، لا نقول: في مجلس علم، ولا في نصيحة فردية؛ بل في خطبة الوداع! وهو يخاطب أمته ويودِّعها! وهذه دليل واضح على مدى عناية الشرع بهذه المسألة الخطيرة.

وكلمة «**غير مُبَرِّح**»، أي: غير شديد، غير عنيف. وقد ذكر العلماء ضابط ذلك، فقالوا: **لا يكسر عظمًا، ولا يُدمي جلدًا، ولا يترك أثرًا**. فهو -إذن- ضرب يسير خفيف، للتأديب والزجر، لا للتعذيب والانتقام والتنكيل.

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٢)، من حديث معاوية بن حَيْدَة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر رضي الله عنه.

٢- قيل للنبي ﷺ: «يا رسول الله، ما حق امرأة أحدنا علينا؟»، قال: «**تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا كُسِيتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُر إِلَّا فِي الْبَيْتِ**»[(١)]، فنهى ﷺ عن ضرب الوجه -خاصةً-، وهذا منهي عنه -عمومًا- في أحاديث أخرى، لا يجوز ضرب وجه الإنسان مطلقا، رجلا كان أو امرأة.

٣- قال النبي ﷺ: «**لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللهِ**»، فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ»، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ**»[(٢)]. تأمَّلْ! الرسول ﷺ في أول الأمر نهى عن ضرب النساء، فجاء عمر رضي الله عنه يشتكي من نشوز النساء، فأَذِنَ النبي ﷺ في ضربهن، وإذا بالنساء يأتين إلى بيوت النبي ﷺ يشتكين أزواجهن من كثرة الضرب، فلم يقل النبي ﷺ: أنا الذي أذنتُ لهم! وليفعلوا ما يشاءون! والخطأ عندكنَّ أنتنَّ أيتها النساء! بل عاد ﷺ باللائمة على الرجال، وقال: «**لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ**»، أي: إذا كنتُ أعطيتُ لكم الإذن؛ فلا يعني هذا أنكم تضربون كيفما تشاءون، أو تكثرون من الضرب.

فهذه هي ضوابط ضرب الزوجة.

وهنا أمر مهم: أن هذا الضرب وإن كان مأذونا فيه؛ إلا أن الزوج مأمور بتركه قدر الإمكان، وإليك قَبَسًا من هَدْي النبي ﷺ وسنته في ذلك، تَأَمَّلْهُ جيدا أيها الزوج:

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٢)، من حديث معاوية بن حَيْدَة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٦)، من حديث إياس بن عبد الله رضي الله عنه.

١- تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(١)]؛ تأمَّلْ! هذا رسول الله ﷺ، الذي نزل عليه كلام ربه صريحا في الإذن بالضرب، وبيَّنه هو ﷺ بقوله؛ لكنه لم يفعله أبدا! فكما تأسَّيْتَ بقوله، فَتَأَسَّ بفعله.

٢- قال النبي ﷺ: «**لَا يَجْلِدِ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ**»[(٢)]. هنا لفتة بديعة من معلِّم البشر ﷺ: كأنه يقول للزوج: انتبه! لا تضرب زوجتك؛ لأنك ستحتاج إليها في آخر اليوم! كيف تضربها في أول اليوم كما تضرب العبد، ثم تأتي في آخر اليوم تطلب حقك منها؟! كيف تعاملها معاملة تجعلها تنفر منك وتبغضك، ثم تطلب منها بعد ذلك أن تعطيك نفسها عن طيب خاطر؟! هذا لا يليق. وكأن فيه إشارة أخرى للرجل: أنه إذا أراد حقه؛ فلا بد أن يراعي الواجب الذي عليه، ولا بد أن يتعامل مع المرأة على أنها آدمية، ليست حيوانًا، الحيوان هو الذي قد يُتصور في التعامل معه أن يضربه صاحبه، ثم يأمره بحاجته؛ وأما معاملة الإنسان؛ فلا يليق فيها هذا الأمر.

وهنا يأتي سؤال: ماذا لو استعمل الزوج ما يجوز له من الضرب، ثم لم ترتدع الزوجة، وزادت في نشوزها؟

والجواب: أن الشريعة تأتي على الغالب من أحوال الخلق، لا على النادر منها، والمرأة غالبا ترتدع بما أذنت فيه الشريعة؛ لضعف المرأة ورقَّتِها؛ وأما التي لا ترتدع بذلك؛ فهذه حالات شاذة، ومع ذلك لا تُعَالَج بالتعذيب والتنكيل، فليس للزوج أبدا أن يزيد في ضرب زوجته على الحدود المشروعة؛

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٢) رواه البخاري (٥٢٠٤)، من حديث عبد الله بن زَمْعَة رضي الله عنه.

بل هناك حلول أخرى، كما في نفس الموضع الذي تحدث فيه ربنا ﷻ عن الضرب، في الآية التالية مباشرة: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء: ٣٥]، فيتدخل الأهل للإصلاح والعلاج، وقد يصل الأمر إلى الفراق بالتي هي أحسن؛ لكن لا تكون المعيشة أبدًا قائمة على منطق التعذيب والتنكيل والانتقام.

كلمة أخيرة بشأن ضرب الزوجة:

ربنا ﷻ هو مالك الخلق، يتصرف فيهم كيفما يشاء، ويَشْرَع لهم ما يشاء، ويحكُم فيهم بما يريد، لا رادَّ لحكمه وشرعه، ولا اعتراض عليه، والمسلم الحق هو الذي يقبل ويسلِّم، ويقول: سمعنا وأطعنا. وأما من ردَّ على الله أمره، أو استهزأ به، أو زعم أنه لا يناسب العصر؛ فقد كفر، وخلع رِبْقَة الإسلام من عنقه.

فضرب الزوجة ثابت بنص القرآن القطعي الذي لا يقبل التأويل، وبالأحاديث المستفيضة في السنة، لا يجوز رفضه، ولا الاستهزاء به، ولا القول بأنه لم يَعُدْ يناسب هذا العصر، وجهلُ الأزواج وعدوانُهم في تطبيقه لا يبرر أبدا الطعن فيه ورفضه.

فيا أختي المسلمة المؤمنة! اتقي أولئك الرَّعاع، من أرباب «النِّسَوِيَّة» الفاجرة، الذين يرفضون تشريع ضرب الزوجات، ويردُّون نص القرآن، ويستهزءون به، أو يحرِّفونه بطريقة تؤدي إلى تضييع العمل به، ويدندنون حول أن الزمن تغير، والمرأة تقدَّمَتْ، فلم يعد يناسبها الآن هذا التشريع! وكأن المرأة قديما كانت بهيمة، ثم صارت في هذا العصر إنسانة!! وكأن تشريع الله ﷻ لا يناسب إلا المتخلِّفين أشباه الحيوانات!!

اتقي هؤلاء -يا أختاه-! وابتعدي عنهم! ولا تسمعي كلامهم! فإنهم أعداء ربكِ ودينكِ، وأعداؤكِ أنتِ أيضا، يريدون -في النهاية- القضاء على عفتكِ وطهارتكِ، ويريدون أن يخرجوكِ إلى السفور والانحطاط، حتى تتحوَّلي إلى مجرد سلعة مهينة لكل عابث، في سوق النِّخاسة الجديد الذي يقيمونه في هذا العالم باسم «تحرير المرأة»! و«حقوق المرأة»!

نسأل الله أن يقينا شرهم، ويحفظنا منهم.

المشاكل الخُلُقِيَّة
المؤثرة على الحياة الزوجية

نتناول في هذه الفصل طائفة من المشاكل المؤثرة على الحياة الزوجية، وهذه المشاكل تتعلق بجانب الأخلاق.

*** أولا: سوء الخلق:**

هذه المشكلة هي رأس المشاكل الأخلاقية وأعظمها، وسوء الخلق معنى قبيح عام، يدخل تحته من آحاد القبائح شيء كثير: من سَبٍّ وشَتْم ولَعْن وتعنيف، بل ما هو أكبر من ذلك -كالضرب-.

وسوء الخلق من الأمور المشتركة بين الرجل والمرأة -عموما-، وعندما يقع في الأسرة؛ قد يقع من أحد الزوجين أو كِلَيْهما؛ ولكن وقوعه من الرجل أكثر؛ لأن المرأة بطبيعتها ضعيفة رقيقة، صدورُ هذا الشيء منها قليل عندما يُقارَن بصدوره من الرجل.

ونحن حياتنا كلها مبنية على الدين وراجعة إليه، فمسألة الخلق وإن كانت تتعلق بطباع البشر؛ إلا أنها -أيضًا- مسألة دينية، تناولها القرآن، وتناولتها السنة، حَضَّ الله ورسوله على حسن الخلق، وحَذَّرَا من سوء الخلق.

يكفيك أن تعلم -ابتداء- أن حسن الخلق من موجبات تشريف سيدنا ونبينا محمد ﷺ، عندما أثنى عليه ربه فقال له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، وقال له أيضًا: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وأثنى الله على عباده المتقين المؤمنين فقال في صفتهم: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وهذا من أفراد حسن الخلق.

وقال ﷻ مؤدِّبًا عباده: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥]، فأرشد عباده إلى مقابلة الإساءة بالإحسان، وبيَّن أن هذا أمر يؤثر على الإنسان حتى أنه يجعل العدو صديقًا، فكم من عدو تكسبه، أو -في أقل الأحوال- تقلِّل شره، بحسن الخلق!

وقال ﷻ مؤدِّبًا عباده أيضًا: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، ألا تحب يا عبد الله أن يغفر لك الله؟! ألا تحب أن تُمْحَى سيئاتك؟! ألا تحب أن تُكَفَّر خطاياك؟! إذا أحببت ذلك؛ فكن من أهل العفو والصفح، وهذا أيضًا من حسن الخلق.

وانظر إلى سنة النبي ﷺ:

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «**لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»**[(١)]، هكذا كان ﷺ: مؤدِّبًا عفيف اللسان؛ أفلا تحب أن تتأسى به؟! وبيَّن لنا أن معيار الخيرية حسن الخلق؛ أفلا تريد أن تكون من خير الناس؟!

وقال رسول الله ﷺ: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ**»[(٢)]؛ أفلا تريد أن تثقِّل موازينك؟! أفلا تجتنب الصفة التي تجعل الله يبغضك: سلاطة اللسان، وقبح الألفاظ؟!

---

(١) رواه البخاري (٣٥٥٩) -واللفظ له-، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٢)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ**»(١)، يا له من رَبْطٍ! تأمَّل كيف ربط الرسول ﷺ بين حسن الخلق وبين علاقة الرجل بامرأته! فمن حسن خلقك: حسن معاملتك لامرأتك، فإذا أردت أن يكمل إيمانك ويزيد؛ فعليك بحسن الخلق، وإذا أردت علامة ظاهرة على ذلك؛ فعليك بحسن معاملتك لامرأتك.

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»(٢)، وقال: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(٣)، الرفق من حسن الخلق، والرفق يحبه الله، ويُجْزِل عليه العطاء، وهو كمال وأدب؛ فعليك أن تكون رفيقًا مع الناس، ولا سيما امرأتك، هي أولى الناس برفقك وحسن معاملتك.

إذن -إخوة الإسلام-: حسن الخلق سبب عظيم لبقاء الحياة الزوجية، وسوء الخلق سبب عظيم لتدمير الحياة الزوجية.

ومن علاج سوء الخلق:

١- استحضار كلام ربنا ﷻ وكلام نبينا ﷺ في ذم سوء الخلق.

٢- مجاهدة النفس وتدريبُها على ترك سوء الخلق، والتحلِّي بحسن الخلق.

لا تيأس! لا تستسلم! لا تقل: طبعي هكذا! لن أستطيع تركه!

اصبر! وصابِرْ! واستعن بالله! ولا تعجز! وأكثر من الدعاء! ومع الوقت تتحسن الأخلاق، وتصير على خير عظيم -إن شاء الله-.

---

(١) رواه أحمد (١٦/ ١١٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٣)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٤)، عن عائشة رضي الله عنها.

*** ثانيا: الغضب:**

الغضب غُولٌ يغتال العقل، ويسيطر على القلب، ويؤثر على الأقوال والأفعال، ويُخرج الإنسان عن طَوْره واعتداله، فيعتدي على الناس ويؤذيهم، وربما آذى نفسه أيضًا.

الغضب من أظهر الأسباب التي تهدد استقرار الأسرة، كم من مشكلة وقعت بسبب الغضب! كم من اعتداء وأذى وقع بسبب الغضب! كم من طلاق وقع بسبب الغضب! وبشأن الطلاق -خاصة-: يغضب الزوج لأتفه الأسباب، ويتلفظ بالطلاق، وبعد ذلك يحتار ويدور ويسأل: ماذا أصنع؟! هل وقع الطلاق أم لا؟! وربما تكون الطلقة الثالثة، فلا تحل له من بَعْدُ حتى تنكح زوجًا غيره؛ فلماذا يورِّط نفسه، ويورِّط المفتي معه؟!

يأتي هنا ما سبق ذكره من النصوص في الكتاب والسنة بشأن العفو والصفح والحلم والرفق، فهذا كله يدل على مجانبة الغضب؛ لأن الغضب ضد هذه الأمور.

ثم استمع إلى هذه الوصية من سيدك رسول الله ﷺ، الذي أوتي جوامع الكلم، وهذه الوصية نفسها من جوامع كلمه: جاءه رجل فقال له: أَوْصِنِي، قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**»[1].

كلمتان ممن أوتي جوامع الكلم، تُدَرَّسان وتُشْرَحان في صفحات ومحاضرات! يتكلم علماء النفس عن خطورة الغضب، ويأتون بالأبحاث، ويتكلمون الكلام الكثير، ويذكرون الإرشادات الطويلة المتعددة لتجنب الغضب، وكل هذا عبر عنه محمد ﷺ بكلمتين: «**لا تغضب**»!

---

(١) رواه البخاري (٦١١٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والعمل بهذه الوصية النبوية المباركة يكون في أمرين:

١- الابتعاد عن أسباب الغضب: وهذه وقاية من الغضب قبل حدوثه.

٢- عدم التصرف حال الغضب: وهذه وقاية من آثار الغضب عند حدوثه.

وهنا نقول كلاما واضحا صريحا: **عندما تغضب أيها الزوج، وعندما تغضبين أيتها الزوجة؛ ليبتعد كلٌّ منكما عن الآخر فورا!** كل واحد يجلس في مكان منفصل، أو يخرج الزوج من البيت بالكلية لو لزم الأمر! المهم تجنُّب الأقوال والأفعال حال الغضب، حتى تهدأ الأمور، وتسكن الأعصاب، وعندئذ يجلس الزوجان، ويتكلمان بهدوء: ما المشكلة؟ وكيف نحلُّها؟

فاتق الغضب أيها المسلم، واتقي الغضب أيتها المسلمة، واحفظا وصية نبيكما، واعملا بها؛ فإن الخير كله في ذلك.

*** ثالثا: الكذب:**

الكذب، والخداع، وعدم الصراحة والوضوح: كل هذه أمور تفسد الحياة الزوجية وتنغِّصها.

والله ﷻ فَطَرَ عباده على محبة الصدق واستشرافه، وعلى بغض الكذب واستهجانه، فهذا مركوزٌ في فطرة كل إنسان: الصدق حسن جميل، والكذب قبيح ذميم.

والله ﷻ عندما مدح عباده المؤمنين والمؤمنات قال: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وأمر عباده المؤمنين بالصدق، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، أي: كونوا في أنفسكم صادقين، وكونوا أيضًا في صحبة الصادقين، وهذا معنى بلاغي عظيم؛

فإن الذي يصاحب أهل الخير لا يمكن أن يكون في نفسه شريرًا، فإذا أمر الله بصحبة أهل الخير؛ فهذا أمر للإنسان نفسه أن يكون من أهل الخير.

وقال نبينا الكريم ﷺ: « **عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا** »[(١)]، فالصدق سبب للجنة، والكذب سبب للنار، الصدق سبب لكل خير، والكذب سبب لكل شر، الصدق لوحة شرف يحوزها العبد المؤمن، فيكتب عند ربه صديقًا، والكذب لوحة ذمٍّ وشرٍّ، يُكتب صاحبها عند ربه كذابا.

وقال رسول الله ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[(٢)]، أول علامة للمنافق: الكذب في الحديث، والمنافق صنف شرير، لا يرضى عنه الله، ولا يحبه، وهو صنف ينخر في عظام هذه الأمة، ويهدمها من داخلها، فكيف يطيق المسلم الصادق أن يتصف بصفة المنافق؟!

وقال النبي ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ**»[(٣)]، وصية نبوية مريحة، فيها كل خير للقلب والنفس والسلوك: اترك الأمور التي تشك فيها وترتاب وتتحير، واسلك سبيل السلامة والصراحة والوضوح، وإذا أردت طريقًا سهلًا لذلك؛ فقد أعطاك النبي ﷺ مفتاحًا وأساسًا: **الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**، فابتعد عن الكذب إلى الصدق، وهذا

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٥٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٢٥١٨) -وهذا لفظه-، والنسائي (٥٧١١)، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

تشخيص نبوي دقيق، لا يشعر به إلا الموفَّق؛ تدبَّرْ في نفسك أيها الإنسان: عندما تصدق؛ تشعر بماذا؟! وعندما تكذب؛ تشعر بماذا؟! ألا تجد في نفسك هذا الشعور الذي أخبر به من لا ينطق عن الهوى؟! إذا صدقتَ في الحديث؛ ألا تشعر بالطمأنينة والثقة؟! وإذا كذبتَ في الحديث؛ ألا تشعر بالريبة والحرج؟!

فاسْتَحْضِرْ هذا الأمر العظيم أيها الزوج! واسْتَحْضِرِيهِ أيتها الزوجة! اسْتَحْضِرَا فضيلة الصدق، ورذيلة الكذب.

والكذب مدمِّر للحياة الزوجية؛ لأنه يفسد الثقة والطمأنينة، والثقة والطمأنينة هما أساس بقاء الحياة الزوجية، بل هما الحكمة من الزواج -أصالةً-، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، فكيف يسكن الإنسان إلى من لا يثق به ولا يطمئن له؟! فإذا تسلل الكذب إلى الحياة الزوجية؛ أفسد الثقة والوئام، وهذا سبيل الدمار والشقاق: منافرة بين الزوجين! وعدم احترام بينهما! ومشكلات مستمرة! والذي لا يرتاح ولا يطمئن؛ يهدم البيت، أو يبحث عن البديل، وهذا البديل قد يكون حلالًا، وقد يكون حرامًا.

وهنا السؤال: لماذا يكذب الإنسان؟!

الكذب غالبًا يكون لأجل الستر على الأخطاء والمعايب، حتى يتفادى الإنسان ردود الفعل -كالمعاقبة، أو التوبيخ-، أو يتخلص من الرقابة والمحاسبة.

وقد يكون الكذب فيما بين الزوجين لأجل اكتساب المودة والمنزلة، يكذب الزوج لترتفع منزلته عند زوجته، وكذلك الزوجة أيضا.

وقد يكون الكذب أيضًا لفقدان الثقة بالنفس؛ فإن الذي يثق بنفسه، ويعلم أنه على أرض صلبة -كما يقال-؛ لا يكذب، وإنما يتكلم بصراحة ووضوح.

والسؤال الآن: كيف نعالج الكذب؟

هذه بعض الإرشادات العامة النافعة لذلك:

١- **توفير الأمان والثقة**: لقد ذكرنا أن السبب الغالب للكذب هو تفادي العقوبة، فلو شعر المتكلم أنه لن يعاقَب؛ فلن يكذب، إذن: علينا فيما بيننا أن نوفِّر الأمان والطمأنينة والثقة، يقول الزوج لزوجته: كوني صريحة صادقة، ولا تخافي، وإذا تبين الخطأ؛ نتعامل بهدوء. والزوجة أيضًا تتعامل بنفس الطريقة؛ لأن الزوجة أيضا قد تدفع زوجها إلى الكذب عليها، ربما تكون سليطة اللسان، وربما تتخذ منه موقفًا لا يرضيه، وهو لا يريد أن تُجرح كرامته، فعليها أن توفِّر له جوًّا من الثقة والأمان.

٢- **الشجاعة في الاعتراف بالخطأ، والرجوع عنه**: يجب أن نعلم تماما أننا لسنا ملائكة، ولسنا معصومين، لابد من الأخطاء، فعلى الزوجين أن يتعاملا بطبيعتهما البشرية، ويُواجِهَا أخطاءهما ويَعْتَرِفَا بها بشجاعة، والمرأة خصوصًا تحتاج إلى هذا؛ فإن المرأة ليس عندها من الشجاعة ما عند الرجل، وهي حريصة دائما على تحسين صورتها، فلا تريد أبدا أن تبدو مخطئة. وإذا تم الاعتراف بالخطأ؛ يجب على الزوجين أن يكون عندهما من الشجاعة والتواضع والإنصاف ما يدفعهما إلى الرجوع عن الخطأ، فيتوبان إلى الله -إن كان الخطأ معصية لله ﷻ-، ويستحلُّ أحدهما الآخر، ويطلب منه العفو والمسامحة -إن كان الخطأ في حق أحدهما-.

٣- **عدم الركون إلى الكذب، وعدم الأمان من الفضيحة**: على الكذاب أن يعلم أن «**الكذب ليس له رجلان**» -كما تقول العامة-، فمهما كذب لا بد أن يُفتَضَح، ولابد أن يُكتَشَف أمره، وحتى لو أراد الزوجان بكذبهما أن يسترا عيبًا، أو يكتسبا منزلةً؛ فلا بد أن تسقط الأقنعة يومًا ما، و«**إنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت**»، فإذا علمتَ ذلك؛ فكن صادقًا صريحًا من أول الأمر، واعلم أن الخطأ عندما يُعالَج في بدايته يكون رد الفعل هيِّنًا ومناسبًا، وأما عندما يطول العهد، ويُكتَشَف الخطأ، ويعلم الآخر أنه خُدِعَ لفترة طويلة؛ فإن رَدَّ فعله سيكون أصعب وأكبر.

فعليكم بالصدق -أيها الأزواج-! وإياكم والكذب!

*** رابعا: الكبر:**

الكبر، والتسلُّط، وعدم التراجع عن الخطأ، وعدم التنازل والعفو والصفح؛ كل هذه أمور تقوِّض الحياة الزوجية.

والله ﷻ بيَّن في كتابه مرارًا أن جهنم دار المتكبرين، كما في قوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]، وقال النبي ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»[(١)]، والعُتُلُّ: هو الجاف الغليظ. والجَوَّاظُ: قيل: هو الضخم الذي يختال في مشيته. وقيل غير ذلك.

والكبر هو الذي أدى إلى وقوع أول كفر بالله ﷻ، أولُ ما وقع الكفر في المخلوقات وقع في إبليس، وإبليس ما كفر إلا من بَابَةِ الكبر: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

(١) رواه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣)، عن حارثة بن وهب رضي الله عنه.

وأكَّد النبي ﷺ على تحريم الجنة على المستكبرين، فقال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»(١).

ولماذا كان الكبر بهذه المثابة؟! لأنه من خصوصيات رب العالمين؛ المتكبر هو الله وحده، وهذا اسم من أسمائه الحسنى: «المتكبر»، وقد قال ﷻ في الحديث الإلهي: «**العِزُّ إِزارِي، والكِبرِياءُ رِدائي، فَمن نَازعني بِشيءٍ مِنهُما عَذَّبتُه**»(٢)، فمن خصوصيات رب العالمين: أنه هو الذي يتكبر ويتعالى؛ لأن المتكبر لا يكون إلا كاملا، والكامل هو الله وحده، فالمخلوق دائما وأبدا ليس من شأنه الكبر؛ لأنه عاجز ناقص، فلا يصح منه الكبر ولا يليق.

وفي مقابل الكبر يأتي التواضع؛ كما حرم الله الكبر؛ أمر بالتواضع.

أَدَّبَ بهذا نبيَّه ومصطفاه ﷺ، فقال له: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وجعل التواضع من صفة عباده وأصفيائه، فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، فهم مع المؤمنين أذلة، أي: متواضعون. ونهى الله عباده فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال النبي الكريم ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوحى إِليَّ أَنْ تَواضَعُوا، حَتى لَا يَبغِيَ أَحدٌ عَلَى أَحدٍ، وَلَا يَفخَرَ أَحدٌ عَلَى أَحدٍ**»(٣)، ومكافأة التواضع عزيزة غالية؛ قال النبي ﷺ: «**مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»(٤)، هذا هو الميزان! لا كميزاننا الأعوج!

---

(١) رواه مسلم (٩١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٢)، عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، وهو في «صحيح مسلم» (٢٦٢٠).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٥)، عن عياض بن حمار رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٢٨٥٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الذي يرتفع فيه المتكبرون! في ميزان رب العالمين: كلما تواضعتَ؛ كلما ارتفعتَ! يرفعك الله أمام خلقه بمحبتهم واحترامهم لك، ويرفعك عنده في القدر والمنزلة والدرجة، وكفى بهذا رفعةً!

وانظر إلى سيدك وحبيبك محمد ﷺ، كيف كان يطبق التواضع في أسرته مع زوجاته؛ سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أَيُّ شَيْءٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟»، قَالَتْ: «**كَانَ يَكُونَ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ فَصَلَّى**»[1]، كان في مهنة أهله: يساعدهم، ويعينهم في شؤون البيت، ويقوم على حوائجه بنفسه: يَخِيطُ ثوبه، ويَرْقَعُ نعله؛ وهو سيد البشر ﷺ؛ ولكنه ما كان مستكبرا، حتى على أخصِّ الناس به! فالمرأة مع وجوب خدمتها لزوجها؛ إلا أن زوجها يساعدها أحيانا، ولا غَضَاضَةَ عليه في ذلك، هكذا كان سيد الخلق محمد ﷺ.

والكبر يدمر الحياة الزوجية؛ لأن الحياة الزوجية مبنية على الاحترام والتقدير، والكبر ينافي هذا ويُذْهِبُه تماما؛ فإنه يؤدي إلى الشعور بالاحتقار والمهانة، وقلة القيمة والتقدير، فالمتكبر لا يحترم أحدا، ولا يقدِّره، ولا شك أن كل واحد من الزوجين يحتاج من صاحبه أن يُشْعِرَه بقيمته، وبأهميته في حياته، فإذا فُقد هذا الشعور؛ وقع البغض والنفور، وأدَّى إلى التوتر والصراع والمشاكل.

وهنا السؤال: لماذا يتكبر الإنسان؟!

من أسباب ذلك -وسنتكلم على الزوجين خاصة-: التفاوت بين الزوجين ماديًّا أو معنويًّا، التفاوت في المال، أو العلم، أو العقل، أو الوضع الاجتماعي.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٨٩)، عن عائشة رضي الله عنها.

ولهذا نقول -كما قلنا في فاتحة موضوعنا هذا-: لا بد من حسن الاختيار من البداية؛ لأن حسن الاختيار من البداية تُرَاعَى فيه الكفاءة والتقارب بين الزوجين، وأما التفاوت الشاسع فيما بينهما؛ فخطأٌ، ويؤدي في المستقبل إلى حدوث هذه المنافرة، والإنسان بطبيعته يفخر بمزيته، فعند حدوث المشكلة بين الزوجين: يفخر صاحب الكمال بكماله: يفخر بعلمه، أو ماله، أو مساعدته لصاحبه، ويؤدي هذا إلى التعيير والإذلال، وهذا خطير جدا: أن يعيِّر أحد الزوجين صاحبه، ويَمُنَّ عليه بأنه ساعده أو أغاثه في مشكلة.

ومن أسباب الكبر أيضا: أن الإنسان بطبيعته لا يحب الاعتراف بالخطأ، ليس عنده شجاعة، وليس عنده معرفة بقدر نفسه؛ الإنسان بطبيعته ناقص، والناقص لا بد أن يخطئ، فإذا هرب الإنسان من هذه الحقيقة، ولم يستحضرها؛ فهذا يدفعه إلى الكبر، ورفض الاعتراف بالخطأ.

وهناك سبب آخر -وهو دقيق-: أن تتحول الحياة الزوجية إلى منافسة ومناكدة، وصراع خفي بين الزوجين: من الأقوى؟! من الذي سينفذ كلمته؟! وهذا أمر خطير، وإنما العلاقة بين الزوجين علاقة تكامل، لا تنافس، والتنافس والمكايدة منطق باطل في التعامل في الحياة الزوجية.

والسؤال الآن: كيف نعالج الكبر؟

هذه بعض الإرشادات العامة النافعة لذلك:

١ - **استحضار ما تقدم من نصوص الكتاب والسنة:** اقرأ كلام الله ﷻ ورسوله ﷺ، عِشْ معه بقلبك، وتدبَّرْ فيه، وتَأَثَّرْ به، وحَوِّلْهُ إلى واقع ملموس في حياتك، واستحضر هذه الموعظة دائما: أنك -أيها الإنسان- ناقص! ليس لك من

الكمال شيء! وهذا الكمال الذي معك إنما أعطاكه الله، ولو شاء لنزعه منك في أي وقت! فلماذا تتكبر؟! لماذا تتعالى على الناس؟! واستحضر -أيضا- وعيد المتكبرين، استحضر أن المتكبرين في النار! وأنهم لا يدخلون الجنة! ولو كان في الذي قلبهم من الكبر مثقال ذرة! فلا تأمن أن تموت على هذا الكبر، فتموت وفي قلبك ما يمنعك من دخول الجنة!

٢- **استحضار حقيقة النفس**: بمعرفة قدرها، والشجاعة في الاعتراف بالأخطاء، وَاجِهْ خطأك! ولا تهرب من المسؤولية!

٣- **تحقيق التكامل بين الزوجين**: فلا يجوز أن تتحول الحياة بينهما إلى صراع ومكايدة، بل يكمل أحدهما الآخر، ويسدُّ نقصه، ويعينه على الخير وعلى مصلحة الأسرة.

٤- **ترسيخ ثقافة التنازل، والعفو، والصفح**: وقد ذكرنا سابقا ضمن المفاتيح الأساسية للحفاظ على الحياة الزوجية: **أن الوضع بعد الزواج ليس كالوضع قبل الزواج**، بعد الزواج صارت هناك مسؤولية، فيجب أن تختلف الحسابات. وذكرنا أيضا: **أنه لا يحصل كل أحد على كل ما يريد**، فلا بد -إذن- أن نعفو ونصفح ونتنازل عن بعض حقوقنا، ولا بد أن نتغافل عن بعض التقصير، ولا يمكن أبدا أن تكون الحياة هكذا: إما أن آخذ حقي كاملا، وإما الهدم!! بل يجب أن يكون الأمر قائما على العقل والحكمة والتنازل.

وهنا كلام أخير، وهو موجَّه للزوجات خاصة:

ذكرنا أنه يجب على الزوج أن يتواضع لزوجته ويحترمها ويقدرها؛ ولكن لابد أن نستحضر ما ذكرناه سابقا من سيادة الرجل وقوامته في بيته، هذه طبيعة الخلق، وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها.

وعلى هذا؛ فالقيادة والقرار لا بد أن يكونا في يد الرجل، هو الذي يقود سفينة الأسرة، وهو الذي يتخذ القرار، وهو الذي يُمضِي كلمته في البيت، ولو صارت المسألة بالعكس؛ فهذا انتكاس للفطرة.

الكبر حرام على الزوجين كِلَيْهما؛ ولكنه على الزوجة أشد؛ لأن الزوجة ليس عندها مقوِّم استعلاء أصلا، فلا نتوقع الكبر من الزوجة أصلا، ولا نرتضيه ولا نُقِرُّه.

وعلى هذا؛ فالزوجة التي تحب السيطرة والتحكم، وتريد أن تُنْفِذ كلمتها في كل شيء، وأن يصير القرار قرارها في كل صغيرة وكبيرة؛ هي زوجة منبوذة، وليس هذا من الكمال والتميُّز في شيء، بل هو وضع شاذ، ولا يليق بالرجل أن يقبله أبدا، وليس هو من أخلاق المسلمين، بل جاءنا من عند الكفار المنفلتين، وأفكارهم النِّسَوِيَّة الفاجرة.

المرأة الصالحة الطيبة تحترم زوجها، ومن احترامها لزوجها: أن تكون الكلمة كلمته، والقرار قراره.

الحياة الزوجية حياة شراكة وتكامل، مع مزية للرجل، لا بد أن نستحضر هذا دائما، وعلى الزوج أن يحسن استغلال هذا، فلا يتجبر ولا يتكبر.

المشاكل العاطفية والنفسية المؤثرة على الحياة الزوجية

نتناول في هذه الفصل نوعا آخر من المشاكل المؤثرة على الحياة الزوجية، وهذه المشاكل تتعلق بالجانب العاطفي والنفسي.

*** أولا: الإهمال:**

من الأمور التي تهدم الحياة الزوجية: الإهمال، وإيذاء المشاعر، وفقدان الكلمة الطيبة.

هذه الأمور الخطيرة تتعارض مباشرة مع الغاية من إقامة الأسرة، تلك الغاية التي قال فيها ربنا ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]، «السكن» و«المودة» و«الرحمة»؛ هذه الألفاظ الطيبة تعبر عن معنى الارتياح النفسي، بأن يشعر كل واحد من الزوجين أنه يعاشر شريك حياته حقًّا، يعاشر من يفهمه، ويثق به، ويرتاح إليه، ويسعد ويفرح بقُرْبه ووَصْلِه.

فإذا أهمل أحد الزوجين صاحبه، ولم يتواصل معه، ولم يُشْبِع عاطفته ومشاعره، وغفل عن الكلمات الطيبة التي فيها الاهتمام والثناء والتقدير والمحبة؛ فهذا أمر خطير، ونذير سوء على الحياة الزوجية.

تأمل في قول ربنا ﷻ مخاطِبًا عبده ورسوله محمدا ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، الرحمة واللِّين سبب الإقبال والمودة، والفظاظة والغلظة سبب الإعراض والنفور، فالنبي ﷺ -وكذلك كل نبي، وكل داعية- لا بد أن يكون متصفا بالرحمة

واللِّين، بعيدا عن الفظاظة والغلظة، مع أننا ليس بيننا وبين الداعية نَسَبٌ ولا صِهْرٌ، ولا يجمعنا وإياه بيت واحد؛ فكيف بشريكين في حياة واحدة، وبيت واحد، تحت سقف واحد، بل على فراش واحد؟! كيف بهما إذا تحول الأمر بينهما إلى فظاظة وغلظة وإعراض وإهمال؟! هنا يتحقق قول ربنا: ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾، فإذا أعرض الرجل عن امرأته؛ انْفَضَّتْ عنه، وإذا أعرضت المرأة عن زوجها؛ انْفَضَّ عنها.

وقال رسول الله ﷺ: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(١)، الكلمة الطيبة فيها أجر وثواب عند ربك ﷻ، تأمَّل كيف حَثَّ على الكلمة الطيبة مع الغريب؛ فكيف بشريك حياتك في البيت الواحد، وتحت السقف الواحد؟!

تأمل في قوله ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(٢)، هذه الابتسامة والبشاشة التي لا نلتفت إليها ولا نهتم بها: حَثَّ عليها النبي ﷺ ولو مع الغريب؛ فكيف بشريك حياتك في الأسرة الواحدة، والبيت الواحد؟!

فلا تَسْتَهِنْ أبدا بالإعراض والإهمال، مهما كانت الأسباب والدوافع، ونحن نعلم تماما ضغوط الحياة، وما نعانيه في أعمالنا وطرقاتنا وغير ذلك، ونتفهَّم أن الشخص قد يصيبه فتور ومَلَلٌ وضَجَرٌ، وقد يكون عنده ضعف تواصل مع الآخرين -عموما-؛ ولكن هذا كله ليس بعذر، ولا يصح الاتِّكاء عليه لتبرير الإعراض والإهمال بين الزوجين.

---

(١) رواه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم (٢٦٢٦)، عن أبي ذر رضي الله عنه.

والسؤال الآن: كيف نعالج الإهمال؟

هذه بعض الإرشادات العامة النافعة لذلك:

١- **الالتزام بتفريغ وقت للأسرة**: فيجب أن يكون لدى الزوج وقت في كل يوم يجلس فيه مع زوجته وأولاده، ولو نصف ساعة، يلتزم بها الزوج، مهما كانت الضغوط والظروف.

٢- **الاهتمام العاطفي**: وهذا يحتاج إليه الزوجان، والمرأة إليه أَحْوَجُ، لا بد من إشباع العاطفة بين الزوجين، باستعمال تعبيرات الحب والاشتياق ونحو هذا من المشاعر الجميلة، ولا يصح أن تتحول العلاقة بين الزوجين إلى علاقة صماء جوفاء، وكأنهما إنسان آليٌّ مُبَرْمَج على القيام بمهامِّ البيت فقط! نحن بشر، لدينا مشاعر وأحاسيس يجب أن نشعر بها ونُشْبِعها، كل واحد من الزوجين يحتاج من الآخر أن يُشعره بأنه يحبه، ويشتاق إليه، ويسعد بالتواصل معه.

ونخص بالذكر في هذا الموضع: **الجانب الجسدي، بقضاء الوَطَر، وإعفاف النفس، وإشباع الرغبة الجنسية**؛ فهذا الأمر هو أعظم ما يحقق السعادة والعاطفة بين الزوجين، وهو غاية من أعظم غايات النكاح، بل لعله هو الغاية التي يتبادر إليها الذهن دائما وأبدا عندما نتكلم على الزواج؛ ولشدة أهميته خصَّه النبي ﷺ بالذكر محذِّرًا من التهاون فيه، فقال: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا؛ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»[1]. والكلام هنا لا يُوَجَّه إلى الزوجة وحدها؛ بل إلى الزوج أيضا، فإن المرأة تطلب من الرجل ما يطلبه منها الرجل، وتستحسن منه ما يستحسن منها، وفي هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إني

(١) رواه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لأحبُّ أن أتزيَّن لأمرأتي، كما أحبُّ أن تتزيَّن لي»، فلا ينبغي للرجل أن يفرِّط في نفسه، وأن يتعامل مع الزوجة كأنها مسخَّرة لمجرد قضاء شهوته، وهو لا يهتم بنفسه، ويجعل زوجته تنفر منه، وتكره معاشرته.

ومن المهم أيضًا في هذا الموضع: جانب النظافة، في البدن والبيت والطعام، فالنظافة تؤدي إلى سرور النفس وراحة القلب، وعدم النظافة يؤدي إلى النفور.

٣- الاهتمام والتقدير والثناء: وهذا الجانب أشمل من الجانب العاطفي الخاص، فالزوجان يحتاج كل واحد منهما إلى الإحساس بالتقدير: أن يُشْعِرَه صاحبه بقيمته وأهميته في حياته، ويُشْعِرَه بأنه يفعل أشياء جميلة ومهمة في البيت.

والمرأة -أيضًا- إلى ذلك أَحْوَجُ، عندما تفعل الزوجة شيئا في بيتها أو طعامها أو شكلها وزينتها؛ تحتاج أن تسمع كلمة طيبة، تُشْعِرُها بقيمتها، وتشجِّعها على المزيد من العطاء والإبداع.

٤- ترك أسلوب المقارنة: وهذا مهم جدا، إياك أيها الزوج أن تقارن زوجتك بامرأة أخرى! وإياكِ أيتها الزوجة أن تقارني زوجك برجل آخر! أيًّا كان وجه المقارنة؛ سواء كان يعود إلى شكل أو جسم أو مال أو أسلوب في الحديث أو غير ذلك؛ فإن المقارنة تدمر النفس وتؤذي المشاعر، والمرأة هنا تتأثر أكثر.

ولا تنس المفتاح الذي أعطيته لك سابقا: (**لا يحصل كل أحد على كل ما يريد**)، فلا بد من القصور -كما ذكرنا مرارا-، ولا يجوز معالجة القصور بالمقارنة، فلا يصح أن يقول الزوج لزوجته مثلا: انظري إلى فلانة، كيف أصبح شكلها! وانظري إلى فلانة، ماذا تفعل بنفسها! هناك فرق بين أن تنصح ابتداءً

فتقول: افعلي كذا وكذا، وبين أن تقارنها بامرأة أخرى؛ هذا الأسلوب أشدُّ، ولا تتحمله المرأة. وكذلك المرأة أيضًا لا تقارن زوجها برجل آخر، وخصوصا المال؛ فإن هذا شديد جدا على الرجل.

فيا أيها الزوجان! عليكما بالاهتمام والإقبال! وإياكما والإعراض والإهمال!

*** ثانيا: سوء الظن:**

مِن المشاكل النفسية التي تؤثر على الحياة الزوجية: مشكلة الشك وسوء الظن، عندما تتحول العلاقة بين الزوجين إلى نوعٍ من عدم الثقة، فيسودُ سوء الظن بينهما، حتى لا يطمئن أحدهما إلى صاحبه.

وقد نهانا ربنا ﷻ عن إساءة الظن عموما فيما بيننا، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]؛ تأمَّل -أيها المسلم-! وتأملي -أيتها المسلمة-! ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾، نهانا ربنا عن بعض الظن؛ فكيف بمن أكثر من الظن حتى صار له عادةً وقانونًا في التعامل مع الناس؟!

وقال رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**»[1]، فحذَّر تحذيرا واضحا مِن الظن؛ لأن الظن كثيرًا ما يكون مجالًا للكذب، من جهة أنه لا يستند إلى دليل، وإنما هو رجمٌ بالغيب وتسويلٌ من الشيطان.

والسؤال: كيف نعالج سوء الظن؟

هذه بعض الإرشادات العامة النافعة لذلك:

١- **الهدوء والتأنِّي**: من أسباب سوء الظن: أن يتناول الشخص المشاكل

(١) رواه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والمواقف بتعجُّلٍ وتسرُّع، ولا يكون هادئًا متَّزنًا، ومِن ثمَّ يتعجَّل في الحكم على غيره، وهذا مجال واسع لإساءة الظن به. فالعلاج إذن يكون بالتمهُّل والتأنِّي، إذا حدثت المشكلة بين الزوجين أو رأى أحدهما من صاحبه موقفا غريبا أو غير مُرْضٍ؛ فعليه أن يعطي نفسه الفرصة ويفسح المجال لتحليل ذلك الموقف أو تلك المشكلة بهدوء قبل أن يحكم ويتعامل، وقد يكون الطرف الآخر غير مخطئ أصلا، قد يكون موقفه سليما أو له مَحْمَلٌ حسن، فلا نبادر بالتخطئة ولا بإساءة الظن، يجبُ علينا أن نتمهَّل ونتأنَّى.

٢- **المبادرة بمعالجة الأخطاء**: إن تركَ الأخطاء تتراكم دون معالجة مجالٌ عظيم لانعدام الثقة بين الزوجين، فالمرأة قد تُخطئ في التعامل مع زوجها -بالقول أو الفعل-، أو تُخطئ في التعامل مع ماله -تأخذ شيئًا من ماله دون علمه، أو تسيءُ التصرف فيه-، أو تخطئ في التعامل مع شخصٍ أجنبي أو مع شخصٍ مِن أقربائها، والزوجُ أيضًا قد يقع في نحوِ ذلك. فالخطأ نعالجه، ونبادر بحلِّ المشكلة بسرعة دون تسويف؛ حتى تهدأ القلوب، وتسود فيها الطمأنينة والثقة، وأما ترك الأخطاء دون علاج؛ فهذا سيؤدي إلى تكرارها، وسيؤدي إلى إساءة الانطباع الذي يأخذهُ كل واحدٍ من الزوجين عن صاحبه، فإذا وقع التصرف بعد ذلك؛ حَمَلَهُ على الخطأ؛ لأنه جرَّب عليه أنه يُخطئ.

٣- **الصراحة والوضوح**: الغموض والتصرفات المريبة من أقوى الأسباب لإساءة الظن -إن لم يكن أقواها-، مثلا: المرأة -كما قلنا- قد تُسيءُ التعامل في مال زوجها، وعندما يسألها زوجها؛ إذا بها تَلُفُّ وتدور وتتهرب! وقد تكلم شخصا أجنبيًّا، وعندما يسألها زوجها؛ إذا بها تَلُفُّ وتدور وتتهرب! وكل هذا

يجعل زوجها يسيء الظن ولا يثق بها. ففي مثل هذه المواقف يجب أن يكون الإنسان واضحا صريحا صادقا، ويجب أن يوضح موقفه ويشرح وجهة نظره بشفافية ومكاشفة، مهما كانت النتيجة، حتى لو وقع غضب أو نفور أو عقاب، كل هذا يمكن التعامل معه وإزالته بعد ذلك، وأما اللَّفُّ والدوران؛ فهذا خطأ، وإذا جرَّب الزوج على زوجته هذا الأمر، أو العكس؛ فهذا سيؤدي إلى انعدامِ الثقة فيما بينهما.

٤- **عدم التأثر بالمؤثرات الخارجية**: هناك مَن قد ينغِّص عليك حياتك، ويتدخَّل في شؤونك، هناك مَن قد يفسد زوجتك عليك، والعكس أيضا؛ فلا ينبغي أن نتأثر بكلامِ أحد؛ ما دامت الثقة موجودة، وما دام كل واحد من الزوجين الظاهر منه البراءة والسلامة؛ فهذا هو الأصل الذي يجب التعامل به، ولا يجوز التأثر بكلام أحد أو أي مؤثر خارجي يؤدي إلى التشكُّك والارتياب، ما لم تظهر ريبة واضحة، أو تهمة بيِّنة.

فالثقةَ الثقةَ في التعاملِ في البيوت! علينا أن نتجنبَ سوء الظن، ونبتعدَ عن التهم والشكوك.

المشاكل الاقتصادية
المؤثرة على الحياة الزوجية

المشكلة الاقتصادية من المشاكل العظيمة التي تؤثر على الحياة الزوجية، والمراد: **قلة النفقة، وضيق المعيشة**، وقد يكون سبب المشاكل أيضا ضد ذلك من الإسراف والتبذير؛ إلا أن التركيز غالبًا يكون على جانب الضيق؛ لأنه هو الذي يؤدي غالبًا إلى تهديد الأسرة.

لقد ذكرنا سابقًا في حقوق الزوجين: أن الزوجة لها حق النفقة؛ لكن يجب الانتباه إلى أن النفقة التي أوجبها الله ﷻ هي **النفقة بالمعروف**، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وكما قال النبي ﷺ: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**»[1]، وسنعود إلى هذا الحديث مرة أخرى.

فالنفقة الواجبة على الزوج: نفقةٌ بالمعروف، لا نفقة مطلقة أو كاملة، بحيث يجب عليه أن يجعل زوجته في مصافِّ الأغنياء.

وكلمة «المعروف» عموما في مثل مقامنا هذا معناها: **الوسط والاعتدال، دون إفراط ولا تفريط**، وهذا هو شأن المسلم عمومًا في نفقته، حتى لو كان وحده بلا أسرة، قال ربنا ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وبشأن التفريط: فالمسلم مَنْهِيٌّ عن البخل والشُّحِّ عمومًا، حتى وإن كان

---

(١) رواه البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

على نفسه، فكيف بمن هم تحت رعايته ومسؤوليته؟! قال الله ﷻ في سياق الذم: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [الحديد: ٢٤]، وقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وكان من دعاء رسول الله ﷺ: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ**»(١)، وقال ﷺ: «**اتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»(٢).

وبشأن الإفراط: نهى الشرع عن الإسراف والتبذير، قال ربنا ﷻ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧]، وقال رسول الله ﷺ: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ**»(٣)، وقال: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**»(٤).

فعلى المسلم أن يكون معتدلا في نفقته، لا إفراط ولا تفريط.

وبشأن النفقة على الزوجة: كما نوجِّه الكلام إلى الأزواج فإننا نوجهه أيضًا إلى الزوجات؛ بل ربما شدَّدْنا فيه على الزوجات؛ فإن التقصير قد يكون من الرجل -ولا شك-؛ ولكن المرأة أيضًا قد تكون عاملًا خطيرًا في هدم بيتها، إذا لم تفهم حقيقة الشرع في إيجاب النفقة، ولم تُرَاعِ حال زوجها، فكَلَّفَتْهُ بما لا يطيق.

---

(١) رواه البخاري (٥٤٢٥)، ومسلم (٢٧٠٦)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٨)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) رواه النسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣)، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

نقول للزوجة: إن الله ﷻ أوجب النفقة لكِ على زوجكِ، لا شك في ذلك، حتى إنه يجوز لكِ أن تأخذي نفقتكِ اللازمة من مال زوجكِ دون علمه.

وهنا نعود إلى الحديث الذي ذكرناه منذ قليل: جاءت هند بنت عتبة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ، فقالت: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَإِنَّهُ لَا يُعْطِينِي وَوَلَدِي مَا يَكْفِينَا، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ»، قَالَ: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**».

فإذا كان الزوج شحيحًا، لا يعطي زوجته نفقتها اللازمة، وإذا كانت النفقة التي تحتاج إليها نفقة لازمة مهمة، في المأكل والملبس والعلاج ونحو ذلك من المهمات؛ جاز لها أن تأخذ هذه النفقة من ماله ولو بدون علمه، وهنا تأمَّلي أيتها الزوجة: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**»، أي لا تبالغي، ولا تسرفي، وإنما الأمر مقصور على المعروف، وهو الكفاية والعدل، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، فالأسرة المتوسطة تختلف عن الأسرة الفقيرة وعن الأسرة الغنية، والله ﷻ فَاضَلَ بين عباده وفَاوَتَ بينهم في الرزق، وهذا لا شيء فيه ولا عيب؛ بل هو سنة الله في خلقه.

فالذي يكفيكِ أيتها الزوجة: نفقتُكِ بالمعروف، بما يناسب مستواكِ ووضعكِ الاجتماعي، فلا يلزم أبدًا أن تكوني مثل فلانة، التي تسكن في المناطق الراقية! وتركب السيارات الفارهة! وتلبس الملابس الغالية! وتأكل اللحم والدجاج كل يوم! العبرة بما يسد الحاجة، بحيث لا تَمُدِّين يدكِ إلى غيركِ، فإذا تحقق هذا؛ فالحمد لله، ولا يطالَب الزوج بما هو فوق ذلك.

واحذري أيتها المسلمة الصالحة من الطمع والجشع وعدم القناعة! احذري أن تنظري إلى ما في يد غيركِ! والله ﷻ نهى عن هذا الأمر نبيَّه ﷺ نفسَه،

فقـــال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

فيا أيتها المسلمة! يا أيتها المؤمنة! رزق ربكِ خير وأبقى! لا تطمعي، ولا تنظري إلى ما في يد غيركِ، واتركي المقارنات: أريد أن أكون مثل فلانة! زوجة أخي فعل لها كذا! وجارتي وضعها كذا!

والمصيبة هنا: أن مطالبة الزوجة وطمعها قد لا يقتصران على إفساد بيتها وحياتها؛ بل قد يؤديان إلى ضياع زوجها، من شدة الضغوط، وكثرة الطلبات؛ قد يمدُّ الزوج يده إلى الحرام، فيسرق، أو يرتشي، أو يختلس، أو يأخذ القروض الربوية! وحتى لو اقترض قرضا غير ربوي؛ فالدَّيْن هَمٌّ بالليل، ومَذَلَّة بالنهار، ويُسأل عنه الإنسان حتى بعد موته، وحتى الشهيد الذي جاد بنفسه في سبيل الله، يُغفر له كل شيء إلا الدَّيْن.

فلماذا نضع أنفسنا في هذه المواقف؟! ولماذا تتسبب الزوجة في مثل هذه الجرائم؟! ومثل هذه المهانة لزوجها؟!

إذن: مسألة النفقة المسؤولية فيها مشتركة بين الزوجين:

الزوج يؤدي ما عليه من واجب النفقة، بالمعروف اللائق به وبأسرته، ولا يدخر في ذلك وُسْعًا، ولا يمنع أسرته النفقة اللازمة لها.

والزوجة تعين زوجها، وترضى بما يقسمه الله لها، وعند وقوع الضيق في المعيشة؛ تصبر وتحتسب، وتكون زوجة أصيلة نبيلة، وفي أقصى الحدود وأسوأ الظروف، لو انتهى الأمر إلى الطلاق؛ فلْيَكُنْ، فراقًا بالمعروف وتسريحًا بإحسان؛ ولكن لا تضغط المرأة على زوجها، ولا تُلزمه بما لا يستطيع، ولا تتسبب في إهانته بالدُّيون، ولا في ارتكابه للجرائم والموبقات.

المشاكل الثقافية والفكرية المؤثرة على الحياة الزوجية

من أنواع المشاكل الزوجية: مشاكل تعود إلى جانب الثقافة والفكر، والعادة والنشأة والتربية، وسنختصر هذه المشاكل في مشكلة واحدة جامعة وهي: **عدم تحرير معنى الحرية والالتزام.**

مفهوم الحرية والالتزام مفهوم يعتريه الخلل كثيرًا، ولا يضبطه الإنسان ضبطًا صحيحًا، ولا سيما إذا أثَّرت عليه مؤثرات خارجية، في ثقافته ونشأته وتربيته، أو في صورة أفكار وافدة من مجتمعات أخرى، أو أعراف أخرى.

علينا -إخوة الإسلام- أن نعلم ابتداءً أن الإنسان يجب عليه أن يكون وسطًا في حياته: لا إفراط ولا تفريط، لا غلو ولا جفاء.

والشريعة المكرَّمة جاءت بهذه القيمة العظيمة، فأسَّست الوسطية، وجعلت التشريعات والأحكام على صورة وسطية مناسبة للخلق، كما قال ربنا ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فالشريعة كلها وسطٌ معتدلة مناسبة للخلق.

والقاعدة في إدراك الوسطية: ١- الرجوع إلى الشرع.

٢- ثم إلى العُرف المعتدل، الذي عليه غالب الناس، وأهل الاعتدال منهم.

والرجوع إلى العرف قد قرره الشرع أيضًا، كما قال ربنا ﷻ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فإذا كان هناك حكم معين أو طريقة معينة ليس لها ضابط في الشرع؛ فإننا نرجع في ضبطها إلى العرف.

هذه القاعدة العامة في حياتنا نطبِّقها في التعامل بين الزوجين: عندما نتكلم

على مفهوم الحرية والالتزام والقيود في الحياة الزوجية؛ فهذا المفهوم نرجع فيه إلى الشرع، ثم إلى العرف.

ومن الضوابط المهمة السهلة لذلك: معرفة حقوق الزوجين، وقد سبق الكلام فيها تفصيلا.

وسنضرب المثال بحق من هذه الحقوق: خروج المرأة من بيت زوجها؛ فالمرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه، هذا هو حكم الشرع -كما عرفنا-، فإذا أردنا أن نعرف حدود الحرية والانضباط في هذا الموضع؛ فإننا نرجع إلى الشرع، والشرع يقول: لا تخرج المرأة من بيت زوجها إلا بإذنه، فإذا قال قائل: هذا ليس من الحرية ولا العدل، وهذا تضييق وظلم وتَزَمُّتٌ؛ فإننا نرفض كلامه ولا نرفع له رأسًا؛ لأنه يخالف الدين والشرع.

ومع ذلك فإننا نقول: يجب على الزوج أن يكون وسطًا معتدلًا في هذا الموضع، فلا ينبغي له أن يسيء استغلال حقه، والشريعة أيضًا جاءت بذلك، وعمل به النبي ﷺ مع أزواجه، فكانت الواحدة من أمهات المؤمنين تخرج مع زوجها النبي ﷺ، كان إذا أراد أن يسافر؛ أَقْرَعَ بين أزواجه، ومن وقعت عليها القُرْعَة؛ سافر بها.

فلا ينبغي للزوج أن يسيء استخدام حقه في الإذن، وأن يحبس زوجته في البيت؛ هذا حقًّا هو التَّزمُّت والتشدُّد، فالمرأة تخرج بضوابط دينها، وبإذن زوجها، في الأمور التي تنفعها في دينها ودنياها: كالخروج لصلاة الجماعة، وحضور مجالس العلم، وزيارة أهلها وصديقاتها، والنزهة المباحة بضوابط الشرع؛ المهم أن الأمر لا يتحول إلى انفلات، بحيث تخرج وقتما شاءت وبغير

إذن زوجها، وبحيث تُكثر من الخروج لغير فائدة؛ فإن الأصل في المرأة كما قال ربها: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فلا نخرج عن هذا الأصل إلا لمصلحة راجحة، وليس من المصلحة الراجحة الإكثار من الخروج.

والآن نتناول بعض الأمور والمواقف التي تظهر فيها قضية الحرية والقيود:

* **أولا: الغَيْرَة:**

غيرة الرجل على امرأته، وغيرة المرأة أيضًا على زوجها: من الأمور المهمة والمطلوبة؛ لكن كثيرًا ما يعتريها إفراط وتفريط.

ونضرب المثال بأمر تعمُّ به البلوى الآن: الانفتاح والتوسع في علاقة الرجل بقريباته من غير المحارم، وكذلك الأمر في علاقة المرأة بأقاربها من غير المحارم، وهذا نجده في بيوتنا، ونشأنا عليه -للأسف الشديد-؛ وهو خطأ؛ لأنه مخالف للدين، الدين جعل حدودًا صارمة واضحة لعلاقة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه.

ويجب أن يُعلم أن المَحْرَم من النساء هي التي تحرم على الرجل تحريمًا مؤبدًا، كالأم، والأخت، والبنت، والعمة، والخالة. وأما المرأة التي يجوز للرجل أن يتزوجها ابتداء، أو يتزوجها بعد زوال مانع معين؛ فليست من المحارم، ومن ثَمَّ: فبنت عمك، وبنت خالك، ونحوهما: لَسْنَ من محارمك، وإن كُنَّ متزوجات؛ لأنه يجوز لك أن تتزوج الواحدة منهن إذا طلقها زوجها أو مات عنها.

وكل امرأة ليست من المحارم؛ فلا يجوز أن يكون التعامل معها منفتحًا متوسعًا؛ الشرع أمر بالحجاب، وغَضِّ البصر، ونهى عن خضوع المرأة بالقول،

وعن ملامسة الرجل للمرأة الأجنبية، والخلوة بها، والسفر معها؛ إلى غير ذلك من أحكام شرعية، يجب الالتزام بها، مهما نشأنا على خلافها.

إذن: لو أن الزوجة اعترضت على زوجها في التوسع مع قريباته المذكورات في الضحك والمزاح والخروج والملامسة ونحو ذلك؛ فهذا حقها بمقتضى الشرع، ولا يجوز للزوج أن يقول لها: بنت عمي! بنت خالي! تربَّيْنا سويًّا! ولو أن الزوج اعترض على زوجته في نظير ذلك؛ فهذا حقه أيضا، وليس لها أن تقول له: ابن عمي! ابن خالي! تربَّيْنا سويًّا!

وإذا كنا نقول هذا في القريبات والأقرباء؛ فالأجانب من باب أولى -كما هو واضح-.

فالأمر كما أسلفنا: يجب الرجوع إلى الشرع، والشرع ما دام قد حكم بشيء؛ فلا بد من الالتزام بحكمه، ولا يكون المتمسِّك بحكمه متزمِّتًا ولا متشدِّدًا.

وإنما يكون الغلو والتشدد عند الاعتراض في الجوانب المباحة التي أجازها الشرع، وكثيرا ما تدعو إليها الحاجة، كمجرد الكلام بين الرجل والمرأة؛ فإنه جائز، ما دام بالأدب والضوابط، وصوت المرأة -في نفسه- ليس بعورة، ولم يزل الرجال في الإسلام يكلمون النساء، والعكس، وأمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- كُنَّ يكلِّمن الرجال، بل كان الرجال يتعلمون منهن، كما حدث مع عائشة رضي الله عنها وغيرها، وإنما الذي نهى عنه الشرع: الخضوع بالقول، كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، والخضوع بالقول: أن تتكلم المرأة برقة ودلال ونحو ذلك مما يثير الفتنة، وأما إذا وقع الحديث بين

الرجل والمرأة بأدب وضوابط؛ فليس للزوج أن يعترض، ولا للزوجة أن تعترض.

*** ثانيا: التجسُّس، وتتبُّع العورات:**

وهذا خطأ كبير، وتصرف خطير، وخصوصا في صورة (تفتيش الهواتف) التي عَمَّتْ بها البلوى، يفتش الرجل في هاتف امرأته، والعكس.

لقد نهى ربنا ﷻ عن التجسس فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، ونهى النبي ﷺ عن تتبع العورات فقال: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ**»[(١)].

فما دام الأمر في الزوجين على السلامة؛ فلا يجوز التجسس ولا التتبع، وإنما يحصل النظر والتحرِّي عند وجود ريبة أو تهمة، بقرائن واضحة تؤيِّدها، لا بمجرد الظن والتخمين، وعلى الأزواج أن يُرْغِمُوا الشيطان، ويستعيذوا بالله من شره، ولا يستجيبوا لوساوسه وكيده.

*** ثالثا: الأفكار النِّسَوِيَّة:**

الفكر النِّسَوي فكر هدَّام داعر دخيل على الإسلام، ما جاءنا إلا من الكفار، وهو يهدف في النهاية إلى المساواة التامة بين الرجل والمرأة في كل صغيرة وكبيرة، حتى قالت الزنادقة -لعنهم الله-: يجب علينا الآن أن نسوِّي بين الرجل والمرأة في الميراث!

هذه الأفكار الكافرة الغريبة يجب أن نكون على حذر شديد منها، وعلى

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٣٢)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

المرأة المسلمة المؤمنة ألا تنخدع بأولئك الدعاة الفجرة، الذين يقولون: حقوق المرأة! وتحرير المرأة!

مرجعيَّتنا هي ديننا، كتاب ربنا وسنة نبينا، ما وافق ذلك فهو مقبول، وما خالفه فإننا نضرب به عُرْضَ الحائط، مهما قيل فيه: حرية! وديمقراطية! وتقدُّم! هذه كلها شعارات شيطانية، الهدف منها إخراج المرأة عن دينها وعفتها وطهارتها، حتى تصير سلعة يعبث بها العابثون.

فانتبهي أيتها الزوجة المسلمة! واحذري التأثر بدعاة النِّسَوية، الذين يدعونك إلى التمرُّد على زوجك، والمطالبة بالتسوية التامة بينك وبينه، بحيث تكونين معه رأسًا برأس وندًّا بنِدٍّ! هذا ليس من الإسلام في شيء، وليس من عُرْفِنا ولا عاداتنا ولا تقاليدنا، وقد تكلمنا سابقا عن هذا الموضوع، وبيَّنَّا التفاوت الطبيعي بين الرجل والمرأة، بما يحقق قوامة الرجل، واحترام المرأة والإحسان إليها، فمعاذ الله من ظلم النساء! ومعاذ الله أيضا من التسوية التامة بينهن وبين الرجال! فضلا عن أن تكون المرأة فوق الرجل، وحاكمة مسيطرة عليه!

وختاما: فالخير كله في الرجوع إلى الشرع، والانضباط بضوابط الشرع، وضوابط العرف السليم؛ بهذا نضبط مفهوم الحرية والالتزام، ونحافظ على بيوتنا وأُسَرنا.

المشاكل المتعلقة بتربية الأولاد
المؤثرة على الحياة الزوجية

موضوع تربية الأولاد موضوع كبير جدا، والذي يعنينا الآن: تعلُّق هذا الموضوع بالزوجين نفسهما، ومدى تأثيره عليهما، ونركِّز على أمرين جامعين:

*** الأمر الأول: توزيع المسؤولية بين الزوجين في التربية:**

لا شك أن مسؤولية التربية مشتركة بين الزوجين، كلاهما مسؤول عن أولاده، وكلاهما عليه دوره في التربية والتوجيه، كما قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ**»[1]، فمن الخطأ البالغ: أن نتصور أن التربية مسؤولية أحد الزوجين دون الآخر.

ولكن هنا نقطة عظيمة مهمة يجب الانتباه لها، وهي: **التفريق بين التربية التفصيلية، والتربية الإجمالية.**

التربية التفصيلية: هي التي تكون بالمتابعة الدقيقة، والتنشئة الدقيقة، والتوجيه الدقيق المستمر، **فهذا النوع من التربية مسؤولية الأم.**

وأما التربية الإجمالية: فهي المتابعة العامة، بتفقُّد الأحوال، والسؤال عن الأمور، والتوجيهات العامة، **وهذا النوع هو دور الأب.**

يجب الانتباه لهذا التفصيل ورعايته؛ لأن مكان البيت للأم، لا للأب، الأب مكانه في العمل، في كسب الرزق، وتحصيل القوت والنفقة، فلا يمكن أن نجمع عليه هذا مع التربية الدقيقة التفصيلية، وهذا لا يطاق أصلا؛ الأب الذي يبقى

---

(١) رواه البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

طوال يومه في عمله كادحًا متعبًا مضغوطًا؛ كيف يُكَلَّف وهو في مكان عمله بالمتابعة والسؤال والتفتيش والتربية؟! وماذا يبقى للأم؟!

الأم مكانها البيت، تزرع التربية في أولادها، وتسقي أشجارها بحنانها ومتابعتها، هي التي تجلس مع أولادها مدة طويلة، وتعلِّم وتربِّي، وتتابع وتفتِّش، هذا النوع من التربية هو الذي يحتاج إلى وقت وتفرُّغ، وهذا شأن الأم، فلا يمكن إطلاقًا أن تبقى الأم في بيتها مشغولة بالطَّهْي والزينة! والهواتف المحمولة! تكلِّم هذه وتلك! وتتابع الصفحات والقنوات! ثم تنتظر من زوجها الكادح المتعب المضغوط أن يأتي في آخر اليوم ويربي أولاده التربية الدقيقة المفصَّلة! بل تعتبره هو المسؤول الأول عن ضياع الأولاد لو ضاعوا!

هذا خطأ عظيم، وليس الأمر كذلك أبدًا، إنما الأب واجبه عندما يعود من عمله: أن يجلس مع أولاده، ويكلِّمهم، ويلاطفهم، ويتفقَّد أحوالهم، ويسأل عن احتياجاتهم، ويربِّيهم بالتوجيهات والنصائح العامة.

فعلينا أن ننتبه لهذا الأمر جيدا، والغفلة عنه تؤدي إلى مشاكل بين الزوجين، عندما تظن الزوجة مثلا أن التربية الدقيقة المفصَّلة مسؤولية زوجها، فتحاسبه قائلة: أين دورك؟! أين وجودك؟!

نعم، إذا ضيع الزوج دوره بالكلية، فلم يسأل، ولم يفتش، ولم يتابع؛ فهنا يكون للزوجة أن تعاتبه وتحاسبه؛ وأما إذا كان يقوم بما عليه مما شرحناه؛ فحينئذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وربنا ﷻ قسم الحياة بين الرجال والنساء: الرجل مكانه العمل، يكتسب الرزق ويأتي بالنفقة، والمرأة مكانها البيت، تربِّي وتُعِدُّ الأجيال، هذا هو التقسيم الطبيعي الذي يوافق الفطرة.

*** الأمر الثاني: الاختلاف بين الزوجين في أسلوب التربية:**

كثيرًا ما يكون أحد الزوجين مُعَوِّقًا لصاحبه في التربية، الزوج مثلا يريد أن يربي أولاده على طريقة معينة، فيستخدم أسلوبًا معينًا في التوجيه والكلام والترغيب والترهيب، وترى الزوجة أنه مخطئ في ذلك، وإذا بها تعارضه، وأمام الأولاد! وهذا خطأ.

إذا كان هناك معارضة؛ فإن الزوجين يتفاهمان فيما بينهما: ما المقترح؟ ما الرأي؟ فإذا تبين بالحجة أن الزوج مثلًا مخطئ؛ فعليه أن يرجع، ويستجيب لرأي زوجته ونصيحتها، وإذا تبين أنه مُحِقٌّ؛ فعلى الزوجة أن تعينه وتسانده، ولا يجوز أن تكون مُعَوِّقَةً له، ولا عونًا لأولادها على تمرُّدهم على أبيهم وعصيانهم له. والزوج أيضًا عليه مثل ذلك، إذا كان هناك اعتراض على طريقة زوجته في التربية.

والقاعدة العامة: إذا كان أحد الزوجين مصيبًا معتدلًا، يوافق دين الله والعرف السليم المنضبط، بلا إفراط ولا تفريط؛ فعلى الطرف الآخر أن يقبل ذلك ويساعده عليه؛ هذه هي القاعدة العامة، وتطبيقها يكون بحسب الأحوال، والتربية أمر مشترك بين الزوجين ينبني على التفاهم بينهما، ولا ينبغي أن يؤول الأمر إلى نزاع وصراع؛ فإن هذا لا يؤثر على الزوجين وحدهما؛ بل على الأولاد أيضًا.

المشاكل العائلية
المؤثرة على الحياة الزوجية

أهل الزوجين قد يكون لهم دور خطير في إفساد حياتهما، وهذه بعض المشاكل التي تحصل من خلال الأهل:

*** أولا: تدخُّل الأهل في حياة الزوجين:**

عندما يتدخل أهل الزوج وأهل الزوجة في حياة الزوجين؛ فهذا كثيرا ما يؤدي إلى الشقاق والمشاكل بينهما.

يجب على الأهل أن يعلموا تمامًا أن الزوجين مستقلان في حياتهما وقرارهما، في أمور النفقة والمعيشة وتربية الأولاد وغير ذلك، فلا يصح ولا يليق أن يتدخل الأهل في هذه الأمور، ويفرضوا رأيهم على الزوجين.

وإذا تبين للأهل أن هناك خطًا أو خللًا عند الزوجين؛ فلا شك أن النصيحة مطلوبة وواجبة؛ لكن بالمعروف والرفق والحكمة والموعظة الحسنة، دون التدخل الواضح القوي بقصد السيطرة على الزوجين، وإجبارهما على الالتزام برأي الأهل، وقد يكون هذا لمصلحة أحد الطرفين على حساب الآخر، بأن يقصد أهل الزوج أن يسيطروا على الزوجة لمصلحة ولدهم! ويقصد أهل الزوجة أن يسيطروا على الزوج لمصلحة ابنتهم! وهذا خطأ عظيم، وأمر قبيح، وتدمير من الأهل لحياة الزوجين.

وأما إذا وصلت الأمور إلى ضرر حقيقي وفتنة حقيقية فيما بين الزوجين؛ فعندئذ يجوز للأهل أن يتدخلوا تدخُّلًا قويا مُلْزِما -إن أمكن ذلك-، وهذه مسألة أخرى تُقَدَّر بقدرها.

*** ثانيا: النميمة، وإفساد ذات البَيْن:**

النميمة: نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد والوقيعة.

وهذا الأمر من كبائر الذنوب؛ قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**»[(١)]، والقَتَّات: النَّمَّام -كما ثبت في الروايات أيضا-. ومَرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ؟**»، **قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ. وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ**»[(٣)]، والحالقة -كما جاء في بعض الروايات-: الأمر الذي يحلق الدين، ويمكن أن يقال أيضًا: يحلق الخير عمومًا، أي: يقضي على المودة والرحمة والألفة بين المسلمين.

فدور الأهل في الحياة الزوجية قد يكون خطيرًا جدًا من خلال النميمة: يُنقَل كلام الزوج في زوجته، وكلام الزوجة في زوجها، ونحن بشر، نتعرض للضغوط والمشاكل، ويرى كل واحد من الزوجين في صاحبه تقصيرا، وهنا: قد يتكلم الزوج مع بعض أهله أو أهل زوجته بقصد التفريج عن النفس، وكذلك تفعل الزوجة أيضا، فلا يجوز أبدا أن يُنقل كلام واحد منهما إلى صاحبه؛ فإن هذا من أعظم أسباب الوقيعة وهدم البيوت.

*** ثالثا: وجود النزاعات والنفرة بين الزوجين والأهل:**

قد يكون الزوج عنده مشكلة وعداوة مع أهل زوجته، أو تكون الزوجة

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥)، عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود (٤٩١٩)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

عندها مشكلة أو عداوة مع أهل زوجها؛ فعندئذ لابد أن يكون هناك رفق وحكمة، ولا يجوز نصرة طرف على طرف لمجرد التعصب، ينصر الزوج أهله حَمِيَّةً لهم، أو ينصر زوجته حُبًّا لها، وكذلك تفعل الزوجة مع أهلها أو زوجها؛ كل هذا خطأ كبير، يجب أن يكون النظر في المنازعات بعلم وعدل، فالمظلوم ننصره -أيًّا كان-، والظالم ننكر عليه -أيًّا كان-.

* **وهنا ننبِّه على أمر مهم: الزوجة لا يلزمها شرعًا أن تخدم أهل زوجها**، فليس من حق الزوج ابتداء أن يكلف زوجته بخدمة أهله، بل يجب أن يكون الأمر بالتفاهم والتراضي.

* **وأمر آخر مهم: الاستقلال بالمسكن**، على الزوجين أن يستقلا بالمسكن عن أهلهما ما استطاعا إلى ذلك سبيلًا.

* **وعموما: تحجيم العلاقات مطلوب**؛ فنحن في زمن فتنة: القلوب تغيرت! والطباع تغيرت! والأخلاق تغيرت! ونحن بالكاد نحافظ على بيوتنا، فلا يصح أن ندخل في مشاكل وصراعات مع أطراف أخرى.

وصلة الأرحام واجبة -بلا شك-؛ لكنها تكون بالمعروف والمعقول، والزيادة على هذا القدر غالبا ما تؤول إلى شر ومشاكل، والواقع شاهد على ذلك.

وسائل التواصل الاجتماعي
وتأثيرها على الحياة الزوجية

نتناول في مقامنا هذا سببا خطيرا معاصرا، ظهر علينا في السنوات القليلة الماضية، له أعظم الدور وأكبر الأثر في خراب البيوت وهدم الأُسَر، ألا وهو: **وسائل التواصل الاجتماعي**.

هذا البلاء الإعلامي الرَّقْمي الذي ابتُليت به أمة الإسلام كلها: هو باب فتنة عظيم، وباب شر جسيم، له أكبر الأثر في إفساد القلوب والأديان والأُسَر.

إن وسائل التواصل -كأي اختراع دنيوي يخترعه الإنسان- فيها خير وشر، والأمر مداره على الاستخدام والتعامل، فمن أحسن الاستخدام والتعامل؛ فقد حصل على الخير وتجنب الشر، ومن أساء الاستخدام والتعامل؛ فإنه لا يكاد يجني خيرًا، بل لا يصيبه إلا الشر.

وهذا هو ما يقع بين الناس الآن -للأسف الشديد-، أكثر الناس يسيئون استعمال هذه الوسائل، ويستعينون بها على الفسوق والفجور والعصيان، فعظمت الفتنة، واشتدت المصيبة، وصار الناس الآن -كبيرهم وصغيرهم، حتى على مستوى الدولة- يطالبون بالترشيد، والحكمة، وحسن التعامل.

هذه الوسائل تجمع بين الإعلام، والفتنة، والشهوة، والشبهة، تشكِّل الأفكار، وتغيِّر العقائد، وتؤثِّر على الأخلاق، تقود الناس كأنهم أنعام، يُسَاقُ الواحد منا سَوْقًا إلى ما تريده وسائل التواصل ومن ورائها، وهو لا يشعر، كأنه مسلوب الإرادة فاقد الاختيار.

لقد ذكرنا أسبابًا عديدة تؤدي إلى كثرة الطلاق والشقاق بين الزوجين،

أسبابًا دينية ونفسية واجتماعية وغير ذلك، ووسائل التواصل ضَلِيعَةٌ -بشدة وقوة- في كل الأسباب التي تكلمنا عليها، وإليك أمثلةً لذلك:

*** أولا: الأسباب الدينية والخلقية:**

وسائل التواصل تهدم الدين والخلق، بشبهاتها وشهواتها، شبهاتٌ تُلْقَى في كافة أبواب الدين، وشهواتٌ في شَتَّى مَنَاحِي الفسق والفجور والعري والإباحية، كل هذا له تأثير عظيم علينا في حياتنا، الزوج يتأثر، والزوجة تتأثر، فيؤدي هذا إلى المشاكل والفتن بينهما.

ومن أقبح ما يقع على وسائل التواصل: سلاطة اللسان، وانعدام الأدب، والسب والشتم واللعن، للآباء والأمهات، وبالشرف والعرض، وبذكر عورات البشر وأعضائهم التناسلية! كله على الملأ دون استحياء!! بعدما كان الواحد منا إذا أراد أن يشتم أحدًا؛ يستحيي أن يشتمه على الملأ؛ صار كل أحد الآن يسب ويشتم بأقبح الألفاظ، وشتيمته تبلغ الآفاق، ويراها الألوف والملايين!

هذا الأمر الخطير القبيح يُضعف الحياء، ويُجَرِّئ الإنسان على القبائح والرذائل، وبالتالي تتجرأ المرأة على زوجها، ويتجرأ الزوج على زوجته، وتقع المشاكل والفتن بسبب هذا التأثير السيء.

*** ثانيا: النشوز والتمرد عند الزوجات:**

ذكرنا قضية النشوز، والسعي إلى السيطرة، والأفكار النِّسَوية الهدامة؛ ووسائل التواصل مَرْتَعٌ خَصْبٌ لهذه الأمور كلها، تتناولها وتنشرها بكثرة، وتؤثر على النساء تأثيرا عظيما.

*** ثالثا: الإهمال:**

ذكرنا أيضا قضية الإهمال فيما بين الزوجين، ووسائل التواصل سبب مباشر لهذا الأمر، يأتي الرجل من عمله فيمسك الهاتف! وكذا المرأة عندما يعود زوجها! حتى في الجلسة الواحدة التي تجمع بين أفراد الأسرة، كل واحد ممسك بالهاتف!!

*** رابعا: الإعراض، والمقارنات:**

ذكرنا أيضًا مسألة الإعراض فيما بين الزوجين، وأسلوب المقارنة عند اللَّوْم والإنكار، ووسائل التواصل تؤثر في ذلك أيضا تأثيرًا عظيمًا؛ الرجل يرى عليها المرأة الجميلة الفاتنة، التي تذكِّره بسوء حال امرأته، فيقول لنفسه: أنا أريد مثل هذه! إلى متى سأظل هكذا؟! وكذلك المرأة ترى الرجل الوسيم المهذب المؤثِّر، فتُفتن كما يُفتن الرجل! ثم يعود كل واحد منهما على صاحبه باللائمة والمقارنة: انظري إلى فلانة وافعلي مثلها! انظر إلى فلان وافعل مثله!

وهناك ما هو أكبر وأخطر: عندما تصل الفتنة إلى درجة الفاحشة والخيانة الزوجية -عياذا بالله-!! وقد سهَّلت وسائل التواصل هذه الرذائل والفظائع جدا، فالآن صار الرجل بضغطة زِرٍّ وهو جالس في مكانه يكلِّم النساء، ويراهن، ويرتِّب مجالس الفاحشة والفجور! وصارت المرأة تعرض نفسها سلعة مُبْتَذَلَة، وتكشف عن بدنها وعورتها؛ حتى تحصل على المال أو المُغَازَلَة، أو على ما هو أكبر من ذلك -عند الساقطات العاهرات-! وكَثُرَتْ وقائع الخيانة الزوجية جدًّا في هذه الأيام، بسبب هذه الوسائل الملعونة، وشدة فتنتها، وسهولة التوصُّل إلى الحرام عن طريقها.

*** خامسا: سوء الظن:**

ذكرنا أيضًا قضية سوء الظن، ووسائل التواصل أيضًا لها دور كبير في ذلك، بالتواصل المشبوه، مع الغموض وعدم الصراحة والوضوح.

وربما كان التواصل الهدَّام بين الرجال في أنفسهم، وبين النساء في أنفسهن، فيتواصل الرجل مع رجل فاسق فاجر، يفسد دينه وأخلاقه، ويخرب بيته، وكذلك المرأة لو تواصلت مع امرأة أخرى فاسقة فاجرة.

*** سادسا: الضغوط الاقتصادية:**

ذكرنا أيضًا قضية الضغوط الاقتصادية، ووسائل التواصل تؤثر في ذلك أيضًا، عندما تعرض ما عليه الأغنياء من ثراء فاحش، والزوجة المسكينة تريد أن تعيش في هذا المستوى، فتضغط على زوجها؛ لأنها تريد أن تكون مثل فلانة التي رأتها على وسائل التواصل، أو تصل إلى مستوى الأغنياء عموما، الذين تُذَاع أخبارهم ورفاهيتهم على وسائل التواصل.

*** سابعا: تربية الأولاد:**

ذكرنا أيضًا مسألة تربية الأولاد، ووسائل التواصل تؤثر على ذلك أيضا، في موقف الوالد مع أولاده، وموقف الوالدة مع أولادها، وموقف الأولاد مع والدِيهم، وسائل التواصل تغذي جميع السلبيات التي نعيشها: من العقوق، وسوء المعاملة، وكُفْران الجميل والإحسان.

*** ثامنا: إهدار الخصوصية:**

ذكرنا أيضا قضية الخصوصية بين الزوجين، ونشر الأخبار، والنميمة، ووسائل التواصل قضت على خصوصيات الناس، تفاصيل البيوت صارت على الإنترنت! المجالس، والمطاعم، والمشارب، وربما النوم أيضا!!

أم فلانة صاحبة القناة أو الصفحة، تعرض حياتها مع زوجها وأولادها بالتفصيل المُمِلِّ! ويصوِّرون أنفسهم وهم يأكلون ويشربون! ويضحكون ويلعبون! فماذا بقي بعد ذلك؟!

هل هذا يرضي الله؟! هل هذا من دين المسلمين؟! هل هذا من أخلاق العرب؟! هل هذا من أخلاق أهل الشهامة والمروءة والغيرة؟! يُفعل هذا لأجل الأموال والشهرة؟!

تَشَبَّهْنَا في هذا الأمر القبيح بالكفار، أصحاب الحياة البهيمية، الذين ليس عندهم خصوصيات، كل شيء في حياتهم مكشوف!!

فهذا الأمر القبيح يفسد الحياة الزوجية جدًا، وكذلك النميمة بنقل الكلام والأخبار عبر وسائل التواصل، كلها أمور شديدة الخطورة والتهديد للبيوت.

هذا تذكيرٌ ببعض ما سبق بيانه من المشاكل المهدِّدة للحياة الزوجية، وقد أوضحنا المساهمة الفعالة لوسائل التواصل في إحداث تلك المشاكل وزيادتها.

وختاما: فالحكم الشرعي العام لهذه الوسائل: أن من أراد أن يستعملها؛ فلابد أن يكون عنده من العلم والدراية والتقوى ما يمكِّنه من حُسْن الاستعمال، وإلا فلا يجوز له ذلك أبدًا، واستعمالها في حقه حينئذ حرام شرعا؛ لكثرة الضرر والفساد الذي يقع بسببها.

*** قال مؤلفه -عفا الله عنه-:**

هذا منتهى رحلتنا وتناوُلِنا لهذا الموضوع الخطير: كثرة الطلاق، والحفاظ على الحياة الزوجية، وأسأل الله أن أكون قد وُفِّقْتُ في هذه المحاولة التي قدمتُها، وأسأله أن يحفظ علينا بيوتنا وأزواجنا وأولادنا، ويقينا الفتن كلها، ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو حازم المصري

انتهاء في ١٦/ ربيع الثاني/ ١٤٤٨

الفهرس

مقدمة ٤
تمهيد: خطورة الطلاق، وسبيل المواجهة ٥
أهمية النكاح ٥
الطلاق شُرع لدفع الضرر، فلا يجوز أن يتحول هو نفسه إلى ضرر ٥
مشكلة كثرة الطلاق مشكلة جيل ٦
حكم الطلاق في الشريعة ٦
المسؤولية في مشكلة الطلاق مشتركة بين الرجال والنساء ٧
سبيل العلاج بإدراك أن الأزمة أزمة وعي، لا تُحَلُّ بالقوانين فقط ٨
وجوب التقيد بشرع الله في سن القوانين ٩
البداية: حسن اختيار الزوجين ١٠
الخطوط العريضة للاختيار ١٠
هل الدين وحده هو كل شيء في الاختيار؟ ١١
كيف تُعرف الطباع ونحوها عند الاختيار؟ ١٣
قواعد أساسية للحفاظ على الحياة الزوجية ١٥
الزواج ميثاق غليظ ١٥
المسؤولية مشتركة بين الزوجين ١٦
التفاوت الطبيعي بين الرجل والمرأة ١٦
لا يحصل كل أحد على كل ما يريد ١٩
تغليب الإيجابيات ١٩

الصبرَ الصبرَ ٢٠
حقوق الزوجين ٢٢
أهمية معرفة هذه الحقوق في الحفاظ على الأسرة ٢٢
حق الزوج على زوجته ٢٤
حق الزوجة على زوجها ٢٧
نشوز الزوجة ٣٠
تفصيل علاج النشوز ٣١
الكلام على ضرب الزوجة ٣٢
وجوب التسليم لحكم الله والرضا به والانقياد له ٣٥
المشاكل الخُلُقية المؤثرة على الحياة الزوجية ٣٧
سوء الخلق ٣٧
الغضب ٤٠
الكذب ٤١
الكبر ٤٥
ذمُّ الزوجة المتسلطة المسيطرة ٥٠
المشاكل العاطفية والنفسية المؤثرة على الحياة الزوجية ٥١
الإهمال ٥١
سوء الظن ٥٥
المشاكل الاقتصادية المؤثرة على الحياة الزوجية ٥٨
ضابط النفقة الواجبة على الزوج ٥٨

مشروعية أخذ الزوجة نفقتها المهمة ولو دون علم الزوج ٦٠
تحذير الزوجة من الطمع والجشع ٦٠
لا يجوز تعريض الزوج إلى أكل الحرام، أو الاستدانة ٦١
المشاكل الثقافية والفكرية المؤثرة على الحياة الزوجية ٦٢
مفهوم الحرية والالتزام يُرجع في ضبطه إلى الشرع، ثم إلى العرف المنضبط ٦٢
الاعتدال في مسألة خروج الزوجة من البيت ٦٣
الكلام على الغَيْرة ٦٤
الكلام على التجسس وتتبع العورات ٦٦
الكلام على الأفكار النِّسَوِيَّة ٦٦
المشاكل المتعلقة بتربية الأولاد المؤثرة على الحياة الزوجية ٦٨
توزيع المسؤولية بين الزوجين في التربية ٦٨
التربية التفصيلية مسؤولية الأم، والتربية الإجمالية مسؤولية الأب ٦٨
الاختلاف بين الزوجين في أسلوب التربية ٧٠
المشاكل العائلية المؤثرة على الحياة الزوجية ٧١
تدخل الأهل في حياة الزوجين ٧١
النميمة وإفساد ذات البَيْن ٧٢
وجود النزاعات والنفرة بين الزوجين والأهل ٧٢
بعض التوجيهات المهمة في العلاقة بالأهل ٧٣
وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها على الحياة الزوجية ٧٤
خطورة هذه الوسائل، وشدة البلاء بها ٧٤

أوجه المساهمة الفعالة لهذه الوسائل في هدم الحياة الزوجية ٧٥
الحكم الشرعي العام لهذه الوسائل ٧٨
الفهرس ٨٠